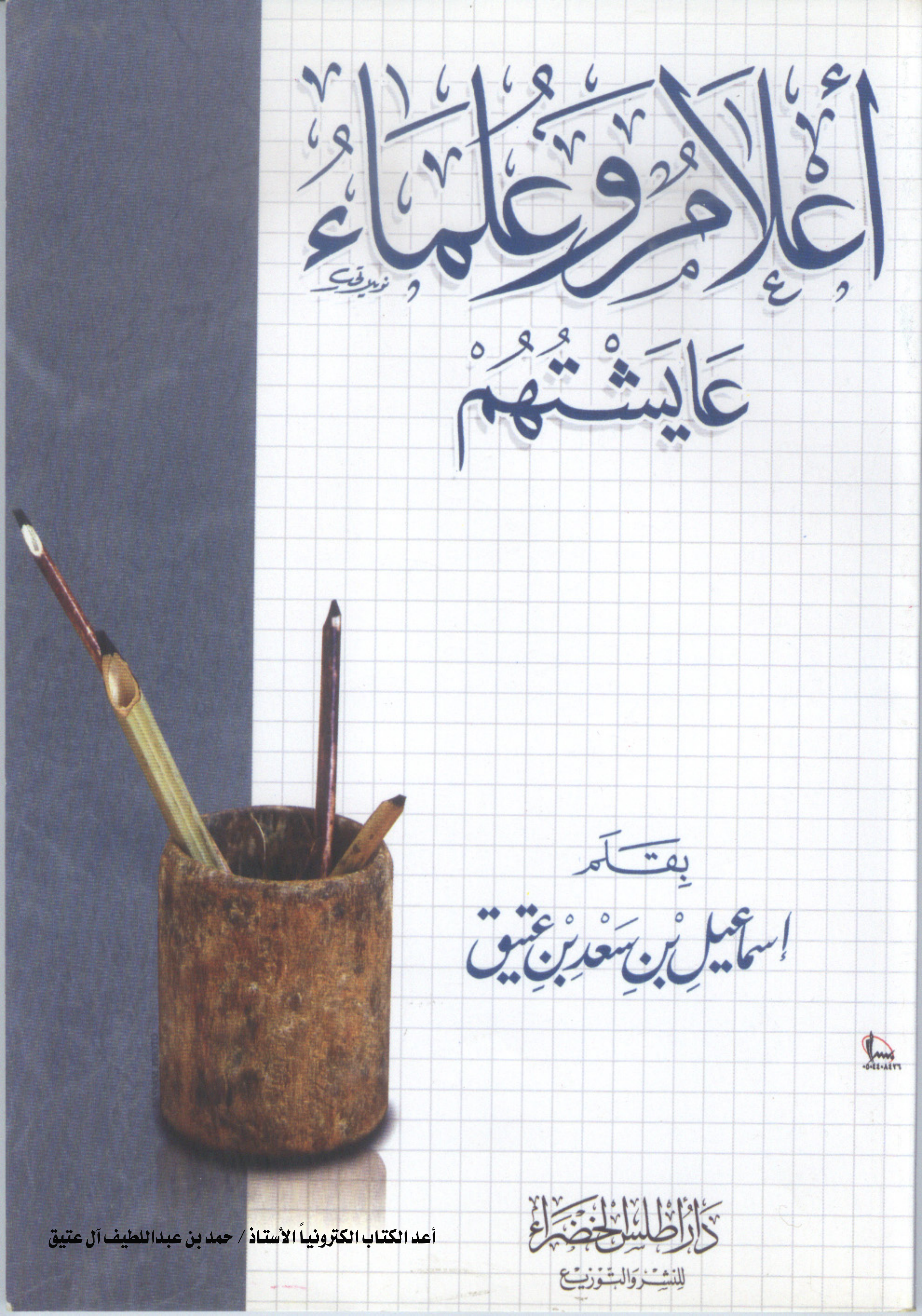

أعلام وعلماء
عايشتهم
بقلم
إسماعيل بن سعد بن عتيق
أعد الكتاب الكترونياً الأستاذ / حمد بن عبداللطيف آل عتيق
دار أطلس الخضراء
للنشر والتوزيع

مقدمة

الحمد لله يهب الخير لمن يشاء وهو على كل شيء قدير وبعد:

فقد سألني من أحب وألح علي في الطلب، أن أكتب شيئاً عمن عرفته وقابلته وتتلمذت عليه من الأعيان والعلماء وممن له فضل الحكمة وبعض النعمة في هدايتي وتبصيري وإنارة الطريق في المسالك التربوية والعلوم الدينية والدنيوية فأجبته على سؤاله إجابة شفوية فأبىٰ إلا تسطيره وتحريره وبيان موجزه وتفصيله فاستعنت بالله العلي القدير أن يفتح عليّ باب الإنشاء والتعبير لأفصح عمّا يريد الطالب ويستفيد كل راغب، في مآثر العلماء الأسلاف ومن هم على منأىً من الرد والخلاف فاخترت من أولئك من هذه صفته العلم والحكمة والذكاء والفطنة أولوا الألباب الواعية والأوعية المليئة بالحكمة الربانية والهداية الإلهية وسوف أجوب بك أيها الطالب الملح في طلبه دياراً وأمصاراً وأحبرّ لك ما أذكره في الذاكرة ممن قابلته وعرفته من العلماء والأعيان بدور المكان والزمان وتأثرت بهم وممن هم في ذاكرتي ومفكرتي وسأوردهم بالبيان التفصيلي.

وسوف أوضح في تبياني توجهات أولئك الأعلام وتخصصاتهم العلمية والفكرية والدعوية إن وجدت ولعل السائل استهدف من طلبه وإلحاحه إلقاء النظرة على تلك المدارس التي نمت على أيدي أفراد، ووسائل تحقيقها وغاياتها حتى يلم بتجربة من جرب

في هذه الحياة القصيرة بالنسبة للأفراد وهي طويلة المدى في عمر الكون العامر إلا أن اللبيب يأخذ خلاصة التجارب مما تسطره الأنامل ويبقى في سجل التاريخ إلى ما شاء الله أن يبقى.

وقد جعلت ما كتبت علي فصلين وخاتمة.

الفصل الأول: ذكر من هم في المملكة العربية السعودية.

الفصل الثاني: اخترت من كل دول زرتها علماً.

أما الخاتمة: فهي اعتذار وانكسار لرب الأرباب عن زلة القلم أو انزلاق القدم فالناقد بصير والله هو اللطيف الخبير.

وصلى الله على محمد وآله وسلم

بقلم

إسماعيل بن سعد بن عتيق

١٤١٧/٧/٧هـ

الفصل الأول

ذكر من هم في

المملكة العربية السعودية



١ـ الشيخ حمد بن عبداللطيف العتيق

في بداية سن التمييز من السادسة إلى السابعة من العمر عام ١٣٦٤هـ وفي وادي الدواسر قرية الخماسين أبصرت عيناي حمل الألواح الخشبية الخاصة بالتعليم وكنت أساعد خالي علي بن مبارك بن خليفة على غسلها بالطين الأبيض حينما يعود من المدرسة القرآنية مدرسة حمد بن عبداللطيف في قرية اللدام المجاورة لقرية الخماسين قرابة ٥٠٠م، تفصل بينهما مقبرة، فحبب إلي تنظيف ذلك اللوح الذي يقدر بـ ٥٠سم X ٣٠سم ثم تاقت نفسي إلى مصاحبة الخال إلى المدرسة ولكن أين اللوح .. إنه لابد لكل طالب من لوح يحمله كل يوم وقد كتب عليه مُدُرسه، وبعد عودته يقوم الطالب بغسله وتنظيفه حتى يكتب له المعلم درساً آخر. إن الحاجة تدعو إلى صنع لوح ولكن أنّى لي ذلك، لا أدري كيف امتلكت لوحاً وبأي طريقة وصلني، ولعله كان مما أهداه إليَّ معلمي الأول الشيخ حمد بن عبداللطيف، العوز الثاني أن الطلبة اعتادوا في كل خميس أنْ يقدموا لمعلمهم طبخة من القهوة مقدارها ملء كف ومثلي لا يملك ذلك ولكن بحكم قرابة المعلم تجاوز لي عن ذلك فلما اقتحمت العقبتين واصلت الدرس بصحبة خالي والذي يكبرني بسنتين نغدو صباحاً ونعود ظهراً بدأت بالحروف الهجائية أ ب ت، ثم يلي ذلك قراءة أنا صاب اقفاظ أرفاع أأجزم .. ثم الدرس الثالث النصبتين والكسرتين والضمتين

ثم الأبجدية .. أبجد هوز ثم القاعدة البغدادية وبهذا يستحق الطالب أن يأخذ المصحف أو جزء عم والذي لا يملك الجزء يواصل كتابته باللوح حتى يختم الجزء الثلاثين من القرآن جزء عم. وما هو القلم .. هو عود يبري رأسه حتى يصلح لحمل الحبر من المحبرة وغالباً ما يكون من أعواد العنب، أما الحبر فهو سواد القدر مضاف إليه شيئاً من الصمغ والملزجات، أما مدرستنا فهي عبارة عن غرفة واحدة بطول ١٠م X ٣م مفروشة بالرمل الأحمر تسع قرابة ٥٠ طالباً ولا منفذ لها غير باب واحد ومدرسنا جالس على منضدة من الطين وهو يستدعي كل طالب لوحده لقراءة ما لديه والتسميع لمن حفظ، هكذا بداية الدرس ومكانه وزمانه. أما شخصية أستاذنا معلمنا الأول فهو الشيخ حمد بن الشيخ عبداللطيف ابن الشيخ حمد بن علي بن عتيق تسلسل سند الدراية والعلم عن أبيه وجده، وكان شغله الشاغل وعمله المتخصص هو خدمة المسلمين للإمامة والتعليم وقضاء حوائج الناس لأمور الشرع فكان مرجع جماعته أهل بلده، استخلفه عمه إسماعيل بن حمد للإمامة في البراز في اللدام، أما تاريخ مدرسته فهي قديمة التأسيس وهي جزء من بيته، كان رحمه الله قوي البنية بدين الخلقة، مستدير الوجه خفيف الشعر، حسن المنطق، جيد التلحين في القراءة والخطبة، كان خطه يشبه المصحف الشريف الطبعة الهندية، وكان أسلوبه في التعليم أسلوب الإرهاب والتخويف ربما زجر الطالب واتبع زجره بصفقات فإن كان الجزاء أعظم فلديه ما يسمى بالجحيشه

وهي ربط رجلي الطالب بحبل مشدود من طرفيه بخشبه يبرم ذلك الحبل بالخشبة ليستضيق على قدمي الطالب ويرفع رجلي الطالب اثنان من الطلبة ويقوم المعلم بالضرب الحار في بطون الرجلين حتى تحمر رجلاه، هذا أشد عقاباً يعاقب به الطالب ومما نسمع كثيراً من أولياء الأمور حينما يسلم الولد للمعلم فيقول: هاهو لك لنا عظمه ولك لحمه بمعنى أنك لا تكسر عظماً ولكن لك أن تضرب اللحم كما تشاء. كانت هيبة المدرس هيبة خوف ورهبة كما أنه من الظواهر الاجتماعية شراسة الطلاب فيما بينهم وقوة الشكيمة والخصام واللجاج وإثارة النعرات القروية بل القبلية حتى يتبادل الطلاب المنابزة بالصناعة والحرفة، كأن يقول يابن القصاب ويابن النجار، أو بقرية عرف أهلها بنبز من الألقاب الممقوتة، ولهذا كان الجزاء من جنس العمل فالحياة كانت قاسية بكل معانيها من الجوع والعرى والحاجة لضروريات الحياة، وقد تعجب إذا قلت أن علاج من يشج وجهه ويدمي رأسه أو جسده أن يسأل عند آل فلان غاز فيصب على الجرح وهذا هو الدواء وكفى، أما اللباس فلا شيء سوى ثوب واحد في الصيف والشتاء وأما الحذاء فتكون للكبار بلبس الخفاف في الشتاء وفي أيام معدودة قد يرث الرجل من أبيه أو جده خفه ونعله يعتز بها وينسبها لمن هي له. والحمد لله ظاهراً وباطناً وأولاً وآخراً فقد بدل الله الأحوال بأن أفاضت علينا الأموال وكثرة العيال واستساغة المآكل والمشارب بأنواعها والفواكه التي كانت لا تذكر فضلاً من أن تعرف. ولله في خلقه شؤون.

٢ـ الشيخ محمد بن أحمد بن سنان

في عام ١٣٦٧هـ توجهت مع والدي للرياض للدراسة والتحصيل وكان هو رحمه الله في حلقة التعليم لدى المشايخ في دخنه وقد أسلمني للمدرس الشيخ محمد بن أحمد بن سنان لأكمل عليه ما بدأت به وهذه المدرسة تقوم على ساباط أو ما يسمى بالمجبب وبتعبير أوضح هي سقف ممر وسكة ضيقة ولكنها مستطيلة قد لا تتجاوز ٢٠م X ٤م تكتظ بالطلاب الدارسين للقرآن الكريم وكلهم ممن حسنت هيئته بلبسه ومظهره وهم أهل الرياض عاصمة الحكم وأني لقروي فقير يجاري أولئك في مظاهرهم التمدنية نسبياً ولكنني أمضيت في المدرسة قرابة عام ونصف العام وفي كل حين أشكو الحال لوالدي مما أعانيه من مجاورة أولئك الطلاب حينما يروني رث الهيئة مكتئب الحال فيعدني والدي بالثوب الجديد واللباس النظيف ولكن شريطة أن أواصل الدرس وملازمة التعليم .. كنت أحمل المصحف للقراءة في مدرسة الشيخ محمد ابن سنان وقد انهيت طور اللوح في وادي الدواسر، وكان الشيخ محمد جزاه الله خيراً يستمع لي ولا يغفل عني إذ كان مقعدي أمام مجلسه فهو يتوسط الطلاب ويلتفت إليهم يمنة ويسرة ويقرأون بأصوات جهورية ويستمع لكل واحد بمفرده وإذا شعر أو رأى من يلعب رمى إليه العصا ثم يأتي الطالب يحمل العصا ويأخذ جزاءه فوراً، كان الشيخ محمد بن سنان له هيبة لدى طلابه لا بالضرب

فقط ولكن بقوة شخصيته وحنكة إدارته وقد ورث هو الآخر هذه المدرسة عن أبيه وعمه وهو يمني الأصل جاؤوا مهاجرين من اليمن بعد توحيد الجزيرة في ظل قائدها المظفر عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، وكان أمير أولئك المهاجرين من اليمن الشيخ يحيى بن حزام، فأحسن الملك وفادتهم وأكرمهم وأنزلهم البيوت في دخنة للتدريس والدراسة وكان منهم من اشترك في حرب توحيد الجزيرة فالشيخ محمد بن سنان هو معلم القرآن ولا زال على قيد الحياة حين تحريري لهذا البيان إلا أنه قد انقطع عن الناس واكتنفه بيته لكبر سنه وهرمه ولا ننسى فضله وإحسانه فقد كانت حياته كلها في تعليم القرآن في مدرسته ثم مديراً لمدرسة تحفيظ القرآن الكريم التابعة لوزارة المعارف ثم نائباً لرئيس الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن أحسن الله خاتمته ومآله .. والله أعلم.

* * *

٣ـ الشيخ محمد بن مهدي الشنقيطي

وفي عام ١٣٧١هـ عدت من بلدي بعد وفاة والدي بـ ٤ سنوات إلى الرياض وانتظمت في سلك الطلبة بمسجد الشيخ بدخنه، وتم ترتيب مصرف مالي قدره ١٢ ريال شهرياً، وكان الشيخ محمد بن إبراهيم قد أمر بترتيب في مسجده لتحفيظ القرآن الكريم على جملة من المشايخ الحفاظ، ومنهم شيخي واستاذي محمد المهدي الشنقيطي عالم فاضل حافظ لكتاب الله يقرأ القراءتين ورش وحفص فبدأت عليه بحفظ القرآن من سورة البقرة وانتهيت إلى سورة إبراهيم حفظاً وترتيلاً وتجويداً وكنت اؤم الناس في رمضان بما أحفظه من القرآن والشيخ محمد المهدي الشنقيطي الموريتاني هاجر إلى المملكة في مكة المكرمة ثم جاء للرياض للاستفادة من علمائها ومع تبحره في العلم وبالأخص العربية يحفظ ألفية ابن مالك ولكنه يرى نفسه طويلب علم رغم كبر سنه فانه يواصل الدرس والتدريس لا يكاد يمضي وقت من زمنه ألا وهو يستمع لطلابه أو يقرأ في كتابه كما كان إماماً لمسجد عبدالله بن سعدون الشريف المنتفق في مسجده بشارع عثمان بن عفان في مدينة الرياض ـ طريقتنا في الدرس أن يتحلق الطلاب حوله في الصباح وبعد الظهر ويقرء كل طالب ما لديه من محفوظات والمدرس يستمع إليه وهكذا يتقاطر الطلاب عليه من بعد إشراقة الشمس حتى ارتفاعها قرابة الظهر ثم يعود بعد الظهر في مجلسه حتي

منتصف ما بين الوقتين الظهر والعصر أما أنا فكان رحمه الله يوليني بعض الاهتمام لما يرى من حرصي ورغبتي في التحفيظ وكنت أجري وراءه وهو متجه إلى بيته وأقرأ محفوظاتي نصف جزء أو جزء وكان يكرر كعادة الشناقطة في زجرهم لطلابهم مش مش وقد يأمرني بخدمته لتصليح قهوته ويقول: اقرأ وانت تعمل وكنت أقرأ من حفظي وأنا في خدمته وهكذا استمر الدرس على الشيخ محمد المهدي حتى عام ١٣٧٣هـ بعدها التحقت بالمعهد العلمي في المراحل التمهيدية وانقطعت من الشيخ ووقف حفظي على سورة إبراهيم هذا هو معلمي الثالث للقرآن الكريم ولا سواهم سوى من درست عليهم من المدرسين في المدارس الابتدائية الحكومية وهم كثر غير أن تأثري بهؤلاء الثلاثة واستفادتي منهم وارتباطي بهم كان له الاثر بنفسي لحب القرآن ودراسته وتجويده رحم الله من أفاد وغفر لهم والله يتولى عباده الصالحين.

* * *

٤ـ الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ

أستاذ النحو والفرائض أما النحو فيجلس له بعد كل فجر لقراءة الأجرومية وأما الفرائض فبعد المغرب في درس الرحبية، يجلس الشيخ عبداللطيف في المسجد في الركن الغربي الجنوبي لتدريس الأجرومية بعد فجر كل يوم يستقبل الطلاب ووجهه جهة المشرق ويتكئ على متكئ من الطين متربعاً يوماً للقراءة وحفظ المتن ويجعل يومين للإعراب، انتظمت مع الطلبة في قراءة الأجرومية (الكلام وهو اللفظ المركب المفيد بالوضع) وهذا درس واحد ولكنه رحمه الله كان يستطرد في الشرح وكأنه قد حفظ الكفراوي والعشماوي وهما كتابان متوسعان في شرح الأجرومية وطريقته أن يقول للطالب أعرب فيقول الطالب: أحسن الله إليك فيقول الشيخ: من ذا؟ أي من أنت وما اسمك فيقول الطالب اسمه كاملاً ثم يقول الشيخ أعرب ويعيد الشيخ اسم الطالب ثم يعطيه الجملة للإعراب تتعلق بشاهد الدرس وهكذا يمضي الشيخ لإعطاء الأمثلة حول شاهد واحد مما قرئ في الدرس وقد يستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الشعراء مما هو شاهد في الباب ويقدر عدد الطلبة بـ ٢٠٠ طالب ويتعرف عليهم واحداً واحداً وإن كان مبصراً إلا أنه يسأل من أنت؟ حتى ولو كان يعرفه باسمه وشخصه يريد من الطالب أن يعرف باسمه عند إخوانه، وقد يغمض الشيخ عينيه ولا يتكلف بمد البصر والحلقة كبيرة ولا

سيما أن بعد صلاة الفجر لم تسفر الإنارة فهم في غلس والشيخ عبداللطيف يعتبر المعلم الأول ممن قرأت عليهم العلم وحلقته أولى حلقات التدريس التي انتظمت بها وكنا نجلس جلسة التشهد في الصلاة في هيبة ووقار واحترام لأستاذنا فكأنما على رؤوسنا الطير فإذا ما أكمل الشيخ درسه قرأ دعاء المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك .. إلى آخره ثم بادره الطلاب بالدعاء له وقولهم أحسن الله إليك ولكن لا يصافحه أحد لكثرة الطلبة وعدم اعتياد مصافحة الشيخ إلا لقادم فبتقبيل رأسه. كان رحمه الله غاية في الذكاء والفطن في علم النحو والفرائض وهو ساعد أخيه الأيمن الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة ورئيس قضاتها واستاذ الجيل رحمهم الله.

* * *

٥ ـ الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ

مفتي المملكة ورئيس قضائها وعلمائها ـ لم يكتب لي أن انتظم لدرس الشيخ محمد بن إبراهيم إذ أن دروسه كلها لكبار الطلبة في النحو درس قطر الندى وألفية بن مالك ولم يكن الشيخ رحمه الله يعطي وقتاً لصغار الطلبة ولكن الكثير منهم يحضر الجلسات في البيت وفي المسجد من غير انتظام للقراءة والحفظ وأنا من أولئك الذين استفاد من مجالس الشيخ ومجالسته وقد أفردت فيه كتاباً اسميته (تاريخ من لا ينساه التاريخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف) طبع ووزع يحكي الكثير عن حياته رحمه الله فهو أستاذ لمن التقى به وحضر مجالسه واستمع إلى دروسه وما أكثرهم غير أنه رحمه الله لشدته وقوته وهيبته لم يكن البعض يقدر على الانتظام في حلقة تدريسه، كما كان رحمه الله شديد اللهجة على من لم يتقن درسه إما بلحن أو عدم استحضار أذكر أنه ذات يوم قرأ عليه أحد الطلبة في كتاب مطول غلط غلطة نحوية فأسكته الشيخ ومنعه من القراءة هذا يكفي أدباً له ولغيره، الشيخ محمد بن إبراهيم من أكبر علماء أئمة الدعوة والقادة المصلحين لم تعرف الدعوة من لدن محمد بن عبدالوهاب إلى زمانه شخصية أقوى ولا أنصع رأيا من قوة شخصيته ونصاعة رأيه كيف وهو أستاذ نصف القرن تتلمذ عليه الجم الكثير والنفر الغفير من أبناء الجزيرة العربية وكانوا هم قضاة المملكة في بداية

الحكم وملؤوا فراغاً كان بفضل الله ثم بفضل تدريسه وتعليمه وكنت على صلة وثيقة به في البيت وفي المسجد وكان يوليني شيئاً من الاهتمام إذ كانت القرابة العلمية والروابط الأخويه بين آل عتيق وآل الشيخ فالفضل الأول يعود بعد الله للشيخ عبدالرحمن بن حسن فهو شيخ جدنا حمد بن عتيق ثم كان الشيخ حمد أستاذاً لجيل من آل الشيخ منهم زعيم نجد عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ ثم كان الشيخ سعد بن حمد أستاذ المفتي محمد بن إبراهيم وقد تتلمذ على محمد بن إبراهيم العدد الكثير من آل عتيق ولمكانة الشيخ محمد العلمية ولولاية وبفضل تكوينه الفطري وجبلته التي جبل عليها كان هو مرجع الكل في الكل سواء فيما يتعلق بالأوامر الشرعية المربوطة بالدولة أو القضاة أو بعامة الناس أو ما هو من لب عمله وتخصصه وهو التعليم ومتابعة تلاميذته بالإكرام فقد أنزل الكثير منهم في بيوت خاصة تدعى بيوت الإخوان كما كان يصرف لهم المرتبات التي تكفي لحالهم من تمر وعيش ونقود حسب الحال ولهذا تشجع الطلبة والتفوا حوله وحول أخيه الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم المعلمان الأوحدان الوحيدان في الرياض عليهم رحمة الله.

* * *

٦ـ الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل

في زمن مبكر أي بعد توحيد المملكة في دولة واحدة، فكان هو القاضي والمرشد والمعلم أقبل عليه الطلبة إقبالة المستفيد والمستزيد من علمه وفضله وآدابه وسلوكياته حتى كان مدرسة بذاته فقد زرته في أبها عام ١٣٧٦هـ ونزلت ضيفاً عليه قرابة ٢٠ يوماً واستمعت إلى دروسه وتدريسه في التوحيد والفقه وأصول الديانة وكان له ما يشبه الرباط للطلبة خارج منزله يجلس فيه بعد كل عصر وفي الصباح من ضحى كل يوم يأتي إليه الأعيان ورؤساء القبائل وعامة الناس للاستشارة والاستفادة. وكان عفا الله عنه على جانب كبير من الخلق والبشاشة ومحبة الناس وكان لمجلسه هيبة إذ هو الشيخ الوقور الذي لا ينطق إلا بحق ولا يتكلم إلا بحكمة زاره جمع من الناس وفيهم حليق اللحية فقال والبخور يدور على الجالسين: انتبه يا ولدي لا تقرب الجمر من اللحية فإنا نكرمها وهو يشير بهذا إلى من حلق لحيته، وقد عرف المستمع مقصود الشيخ مثل هذا الأسلوب التلميح غير التصريح لإنكار المنكر وقد تفوق الشيخ في علم الفرائض حتى كان مرجع المنطقة كلها في قسمة تركاتهم وموارثهم رغم أنه ترك العمل في القضاء رسمياً وخلفه الشيخ ناصر بن حمد الراشد فإن مركزه ومكانته الاجتماعية لم تتأثر بترك العمل الرسمي في القضاء وقد أصيب شفاه الله بأمراض تنتابه بعد كل فترة حدت من نشاطه وأقفل بابه دون زواره

ولكنه في حال صحته يعود الناس إليه زرافات ووحدانا وهو كثير الذكر والتكبير لله عز وجل حتى يذكرنا بصفة الملائكة الذين لا يفترون، ولم يكن لي درس بالتحديد على الشيخ عبدالله ولكنها المجالسة واستماع ما يمليه من دروس في المنزل وفي المسجد وفي مقر الطلبة المنتظمين في دروسه يومياً. ولهذا فهو في مقدمة من استفدت منهم وتأثرت بهم وكان الشيخ عبدالله بن يوسف عفا الله عنه ممن كثر ولده قد زاده الله مالاً وبنين في آخر حياته حتى كان من أثرى طلبة العلم رغم أنه لم يشتغل في التجارة ولا يسمع في مجلسه حديثاً في الدنيا ولكن له من خواص الإخوان والطلبة من يسعى في تنمية ثروته في التجارة في العقار والبيوت والبساتين ولهذا رزقه الله رزقاً واسعاً كما كان له من الأولاد من بنين وبنات العدد الكثير وقد أوسع الله عليه فأوسع ولا يزال على قيد الحياة حين تسطير هذه السطور عنه ولعله تجاوز من العمر أو قارب ٩٠ عاماً.

* * *

٧ـ الشيخ حافظ بن أحمد حكمي

عالم أوطانه وفائق أقرانه العالم العلامة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي السامطي في مدينة سامطه عام ١٣٧٦هـ نزلت ضيفاً على الشيخ وكان القصد أن أواصل الدرس والانتظام في مدرسته إذ طار صيته واشتهر ذكره في أرجاء نجد والحجاز غير أن المناخ التهامي والجو اليماني لم يتفق مع طبيعة النجدي الصحراوي، بقيت مع الشيخ حافظ ١٥ يوماً، نزلت في بيته ولازمت دروسه في مكتبته الخاصة واستفدت من حديثه وكنت أنيسه وجليسه فهو الرجل البسيط المتواضع في هندامه وشكله ومعاملته ومعاشرته حتى كأنه لا يتميز على أحد بمركز أو جاه أخذني معه في رحلة استطلاعية لبعض المدن الجنوبية كـ (صبيا وأبي عريش) فكان نعم الرفيق للطريق، عرفته حضراً وسفراً الشيخ حافظ اسم طابق مسماه ولفظ وافق معناه فقد كان حافظ العلوم بحر المعارف ألف وكتب نظماً ونثراً في التوحيد والفقه والمصطلح والتاريخ رغم حداثة سنه وقصر سني عمره فقد أمر الملك سعود بطبع ما ألفه ونشر ما كتبه على نفقته كان الشيخ حافظ رحمه الله يلقي دروسه في المعهد العلمي وفي مكتبته الخاصة لخواص الطلبة وأفراد من الإخوان إلا أنه كان مشغولاً بالجمع والتأليف كما كان مديراً للمعهد العلمي بسامطة ووزيراً للداعية الكبير الشيخ عبدالله القرعاوي الذي كان الشيخ حافظ في ثمرات دعوته منهج الشيخ حافظ في الدعوة:

منهج الإصلاح والمداراة كما هو أصلح وأفضل فلا يظهر عليه الغيرة الحماسية في إنكار المنكر أو السطو على من خالفه أو تظاهر بمعصية ولكن أسلوبه في الدعوة أسلوب الترغيب والإكرام ومسايرة الأحوال وسبرها ومعالجة الأمور علاجاً يقطع الشر من جذوره، ولهذا لم يكن للشيخ حافظ تلك الهيبة كما هي للقضاة والأمراء ومنسوبي الدولة كأعضاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكنه المعلم العالم لمسلك دعونه وأساليب تأثيرها، كان للشيخ حافظ مكتبة حافلة بعناوين الكتب المتفرقة، وقد كتب بخط يده على أحد دواليبها شعراً قال فيه:

ببيت الشيخ كتب قد شراها ... وجمعها ولكن ما قراها

وقد رضي منها بسلوي ... إذا فتح المكان بأن يراها

وينظر في قطائعها ويمضي ... وهل تدري القطائع ما وراها

عدت بعد ١٥ يوماً إلى نجد لأبحث عمن أتلقى عنه وفي غضون عشرة أيام كنت في مدرسة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي في عنيزة بالقصيم.

* * *

٨ ـ الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي

علامة القصيم والمشهور بالعلم والفضل كان من أبرز علماء زمانه رغم أنه لم ينتظم في سلك أعمال الدولة بقضاء أو تعليم ولكنه رحمه الله كان كمن يتتبع آثار ابن تيمية فيحي ما اندرس بأسلوب مبسط وتباينه الواضح فقد كتب وألف فنوناً من العلم هي عاكسة لمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، اشتهر ابن سعدي رحمه الله وكنت اتوق إلى لقائه والاستفادة من مجالسه طرقت بابه بعد صلاة العصر أحمل حقيبتي قادماً من سفر ففتح الباب وأخبرته بأنني أريد الشيخ وأنا قادم من الرياض فأدخلني في مجلس علوي ثم تقدم لإصلاح القهوة لايقاد النار وقلت له أريد الشيخ ظننت أنه من مظهره البسيط وهيئته الرثه وتقدمه لإصلاح القهوة رجلاً آخر غير الشيخ عبدالرحمن السعدي فقال أنا عبدالرحمن فاعتذرت له أنني لم أبادره بالسلام فقبل عذري وحياني وأخبرته بمقصدي وقال: هذا بيتك حياك الله ولك أن تبقى معنا ما تشاء لترى ما نحن عليه فلازمته ٢٠ يوماً في البيت وفي المسجد وفي المكتبة، وكان له درسان درس في المكتبة بعد الظهر وقبيل العصر حتى أذان العصر ودرس في المسجد بعد صلاة المغرب حتى آذان العشاء وأشار علي بأن التقي بالشيخ محمد بن صالح بن عثيمين وهو إذ ذاك مدرساً في المعهد العلمي فكان لقائي بالشيخ ابن عثيمين في درس الفرائض بعد عصر كل يوم مع رفيق وزميل واحد

رأيت أن الوضع في عنيزة لا يشجع على الاستمرار والدراسة إذ الكثير منهم يتعاطون التجارة وليس من أحد متفرغ لطلب العلم والاستفادة من الشيخ بعد مدة وجيزة قال الشيخ عبدالرحمن: كيف رأيت وضعنا فقلت خيراً فقال: لعلك تلحق بعلماء بريدة فهم أكثر تشجيعاً وأكثر طلبة وفيها العلامة الكبير الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد وجمع كبير من العلماء يواصلون التدريس في المساجد يمكنك أن تنتقل إلى معهد بريدة وتلازم علماءها فقلت: حسناً غادرت عنيزة إلى بريدة وبها استقريت ثلاث سنوات من عام ١٣٧٦هـ حتى عام ١٣٧٩هـ ودعت الشيخ عبدالرحمن وقد استفدت من مجالسه وطريقة تدريسه فهو الرجل الهادي الوادع المبتسم البشوش الزاهد التقي النقي معلم الأجيال، كان رحمه الله يلقي خطبه الأسبوعية يوم الجمعة لمعالجة القضايا المعاصرة، كما كان إماماً بجامع عنيزة وهو المرجع لأهلها في كثير من المشاورات والاستفتاءات رحمة الله عليه وغفر له .. ومن أشهر ما كتب تفسير القرآن الكريم، والرد على الملحدين ويقدر ما كتب من كتب وطبع في حدود ٢٠ كتاباً غفر الله له وجزاه ربه أحسن الجزاء.

* * *

٩ ـ الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد

العالم العلامة البحر المتلاطم حبر الجيل وعالم التأويل، أخذت بمشورة الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وتوجهت إلى بريدة قاصداً الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد وكان إذ ذاك رئيس محكمة بريدة وما يتبعها من القرى عدا مدينة عنيزة استقبلني الشيخ عبدالله استقبال الأستاذ لابنائه وتلاميذه وشجعني على البقاء في بريدة والانتظام في سلك الدراسة في معهدها العلمي مع ملازمة دروس المساجد في الفجر والمساء، وكان ما كان من قدرة الله وتدبيره أن أمضيت في القصيم ثلاث سنوات من ١٣٧٦هـ إلى ١٣٧٩هـ وكان من أبرز مشايخي فيها هو عالمنا الجليل الشيخ عبدالله فقد رتبت عليه بعد صلاة الفجر مع جملة من الإخوان متن الأجرومية ثم يليها ملحة الأعراب، وبعد الانتهاء منها متن الفطر ثم بدأنا بالألفية لكنني لم أكملها معهم كما كنا نقرأ عليه بعد الفجر كتاباً في العقيدة وقد أنهينا عقيدة السفاريني كما أنهينا عليه متن الطحاوية ثم العقيدة الواسطية أما بعد المغرب فندرس الفرائض وهو مستمر في كل ليلة بعد كل مغرب، كما قرأت عليه في المكتبة شرح مسائل الجاهلية للإمام الألوسي المتن لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب واشتركت في قراءة متن زاد المستقنع حفظاً مع قراءة شرح الروض المربع وذلك في ضحى كل يوم في الأشهر التي تغلق فيها المعاهد، كنت أبقى في بريدة زمن التعطيل

والإجازة الصيفية مرابطاً وملازماً للعلماء فيها، أما وصف شيخنا فلا يلم بتيانه البيان وهو العالم الأجل العبقري لم تشهد الجزيرة إلا النادر من أمثاله في ذكاءه ونبوعه وفطنته وفهمه، كان رحمه الله يداعب تلاميذه ومحبيه وقد يتنازل في تعبيره إلى أقل المستويات للتفهيم وإيضاح المراد من مداعبة رحمه الله أن قال لشيخ كبير السن وهو يحمل سراجاً في صلاة العشاء والفجر لإنارة طريقه قال له: لو حملت معك بدلاً من السراج كشاف البطارية اليدوي فرد عليه: لا أريده لأنني لا أحبه: أن الشباب يحملونه أما أنا فأحب سراجي فقال الشيخ: هذا السراج من النار والقاز وربما يقترب من ثوبك فيحرقه وفي المسجد أن وضعته أمامك مكروه وإن وضعته خلفك لعب فيه الأطفال وربما أطفأوه أما هذه البطارية فيمكنك أن تضعها في جيبك عند دخولك المسجد وعند الخروج تضيء لك الطريق، ومع هذا فإن الشيخ العجوز لم يقتنع بهذا الإيضاح والتبين ومصلحة الإضاءة البطارية، بقي رحمه الله في القصيم قرابة ١٨ عاماً تخرج على يده الكثير من الطلبة البارزين وكان جل أوقاته في التدريس في المسجد والمكتبة بعد الفجر، وبعد الظهر وبعد المغرب وفي الضحى بعد أن ترك القضاء عليه من الله شابيب الرحمة والمغفرة والرضوان جزاه الله عنا أحسن الجزاء.

* * *

١٠ـ الشيخ صالح بن أحمد الخريصي

تلميذ المدرسة السليمية المشهورة وأسرة آل سليم أسرة علم ودعوة كان من نتاجها الشيخ صالح بن أحمد الخريصي الذي يشبهونه في سمته ولحنه وحركاته بالشيخ عمر بن محمد بن سليم، بقيت مع الشيخ عبدالله بن حميد بضعة أيام لم أتعرف على سواه وكنت أسكن جامع بريدة في غرفة في سطح المسجد ثم رأيت مجالس الشيخ صالح فاستأذنته بالدرس عليه بعد العصر، من كل يوم إذ هو الوقت المناسب لي فكان ذلك طيلة ثلاث سنوات أمضيتها في القصيم قرأت عليه متن التوحيد وشروحه وكتاب التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب وشروحه قرة عيون الموحدين وإبطال التنديد وكتاب فتح المجيد وكان هذا الدرس خاص بي لم يشاركني فيه أحد ولكن بعد الفراغ من قراءة متن الزاد وشرحه مع المجموعة أما المتن فنحفظه حفظاً يستمع الشيخ لكل واحد منا ثم يشرح الشيخ القراءة ثم يقرأ أحد الطلبة الروض المربع أكملت عليه متن الزاد وشرحه مرتين وبدأنا به في المرة الثالثة، الشيخ صالح له جلسات في مسجده غالب الأوقات بعد الفجر وبعد الظهر وبعد العصر وبعد المغرب مدرسته مكتظة بالطلاب والمحبين والمستمعين فهو الشيخ الندي الكريم السخي يبذل من ماله الكثير لإخوانه كما كان على جانب كبير من السمت ـ سمت الأولياء الصالحين، والعباد بالتهجد والتلاوة والصيام، كان

رحمه الله قليل الكلام وإن تكلم فبصوت خافت يشوب صوته نغمة تظهر في حسن قراءته وخطبته، وقد كتبت عنه كتاباً بعد وفاته أسميته (هذا هو الإمام صالح بن أحمد الخريصي) ذكرت فيه شيئاً من مشاهد حياته ومواقفه النيرة وتدريسه فهو بحق إمام ومصلح وداعية ترأس المحاكم الشرعية لعموم القصيم، خلفاً للشيخ عبدالله بن حميد، فكان له المركز الرسمي مع ما هو عليه من محبة الناس له وحاجتهم إليه، فالتف حوله جميع المستويات يصدرون عن رأيه ويأخذون بتوجيهاته وحكمه، أنجب الشيخ صالح من البنين والبنات ٣٨ فرداً الكثير من أبناءه ينتسبون إلى العلم، وإن لم يلحقوا بأبيهم فهم أهل صلاح وتقوى ومنهم الشيخ سليمان بن صالح وهو أكبرهم والذي يشبه أباه في كثير من الخصال والفعال. الشيخ صالح الخريصي بقية المدرسة السليمية فما أكثر ما حكي عن شيخه عمر بن سليم في أدق أعماله وجلها وهو بهذا يضرب المثل لتلامذته في الاستقامة وتتبع آثار الاسلاف قال لنا ذات يوم: جاء أحد الأمراء السعوديين يستسمحه عما بدر منه خطأ فقال الشيخ: عمر لستم بأشر من آل رشيد أذونا وصبرنا ونحملكم على حسن الظن ولكن الحساب أمامنا، كما ذكر من صفاته رحمه الله أنه كان إذا خرج من بيته لزيارة المقابر يقرأ القرآن فربما قرأ الجزء أو الأكثر في طريقه إلى المقبرة وعودته منها، نسأل الله للجميع المغفرة وحسن المثوبة.

١١ـ الشيخ علي بن إبراهيم المشيقح

طالب علم متميز ومدرك له اهتمام بالفقه الحنبلي يحفظ كثيراً من نظم ابن عبدالقوي في الفقه، عرض عليه بعض الوظائف الحكومية فامتنع رغبة في مواصلة بحثه ومراجعاته وأخيراً التزم بالقضاء، درست عليه بعض أجزاء من القرآن الكريم كما راجعت عليه عمدة الأحكام حفظاً وقراءة شرحها أحكام الأحكام لابن دقيق العيد وذلك بعد صلاة كل ظهر في مسجد المشيقح وهي أسرة كريمة عرفت بحب العلم والعلماء ومن البيوت الغنية بالقصيم ولجدهم عبدالعزيز بن حمود المشيقح مواقف مع الملك عبدالعزيز مشرفة وكان الملك إذا زار بريدة يبدأ بزيارة بيت الشيخ عبدالعزيز ابن حمود المشيقح ورأيت ذلك في زيارة الملك سعود للقصيم عام ١٣٧٦هـ بدأ بزيارة بيت المشيقح كما استجاب لدعوتهم خاصة في مزرعتهم بعد العصر وشيخنا الشيخ علي البراهيم جده عبدالعزيز المشيقح من قبل أمه، كان أبوه رجلاً فقيراً يعمل في مزرعة عبدالعزيز بن حمود المشقيح وذات ليلة طرق بيت عبدالعزيز بن حمود المشيقح أمير بريدة من قبل ابن رشيد وهو عبد أسود مليك لآل الرشيد فاإستقبله عبدالعزيز المشيقح فقال الخادم: جئتك في هذه الليلة لأمر أرجو ألا ارجع إلا وقد استجبت لي، قال المشيقح: وما هو؟ فقال الأمير جئت أخطب ابنتك، فضرب ابن المشيقح بيديه وتأسف كل الأسف أن الأمير لم يتقدم

إلا وقد أمضينا زواجها على ابن اخينا إبراهيم المشيقح مغرب هذا اليوم وأنت مدعو أيها الأمير غداً بعد الظهر على وليمة العرس وكان ذلك لم يحصل ولكنه استدعى بالفور والد الشيخ علي المشيقح وزوجه تلك الليلة خوفاً من سطو الأمير وغضبه عليه فأنجبت هذا الرجل الصالح الشيخ علي البراهيم المشيقح كان حفظه الله ممن له سمات مميزة في هندامه ومشيته وحمله المسجر (عصا الشوحط) مع أنه ليس بالكبير ولكنه سمة العلماء والصالحين آنذاك، وكان يؤدي شرح الدرس بتأن وتفكير وضرب الأمثال حتى لتعد كلماته عداً كما أنه في جلسته لا يتململ وقد ينصب رجله ويضع يده عليها أو متكى على متكاء فيجمع أحاسيسه لالقاء الدرس، ومن المؤسف انني لم أكن ذلك الوقت أهلاً لاستيعاب الدرس وتطويل الشرح إلا أن ما استفدت منه هو حفظ متن عمدة الأحكام مع ما قرأت عليه من القرآن الكريم وكنت أسكن غرفة في مسجد المشيقح مفروشة بالرمل في محراب المسجد إذ كان مسجدهم مجمع لعدد من الغرف يسكنها الطلاب والمغتربون ومن على شاكلتي ممن لا أهل له في القصيم، كتبت هذه الأسطر عن الشيخ علي وفيما أظن أنه لا يزال على قيد الحياة وإن لم يكن مسناً ولكن انقطعت عني أخباره. تولى الله الجميع بحفظه ورعايته.

* * *

١٣ـ الشيخ أبو حماد الرسي

اسمه عبدالله ولكنه اشتهر بكنيته، كان من الإخوان الذين يتشددون في الولاء والبراء، بل لا يرى المستجدات من الصناعة شيئاً يباح استعماله كالبرقية، قال له أحد أحبابه ياشيخ أبو حماد أبرقت للشيخ عمر بن حسن برقية بخصوصك وهذا سندها فعاتبه عتاباً شديداً وقال من أذن لك أن تضع اسمي في البرقية وأخذ السند ومزقه، كان حافظاً لكتاب الله عالماً بالعربية لازمته بعض الوقت للإمرار عليه بعض ما أقرأه على الشيخ ابن حميد والشيخ الخريصي ليصحح قراءتي في النحو، كما كنت أسامره ليلاً مع مجموعة من الإخوان لقراءة الدرر السنية ورسائل أئمة الدعوة وكان رحمه الله نومه نهاراً ولا ينام في الليل إلا القليل ولهذا يعجبه السهر على العلم إلى منتصف الليل أو أكثر منه كما كان ملازماً لحلاقات الشيخ صالح الخريصي في النهار ولم يترسم بالتدريس ولكن كان من طلاب آل سليم غير أنه لم يكن في أعمال رسمية وكل أعماله تطوعية وفيما أظن أنه شارك في حروب توحيد الجزيرة العربية وكان يحب الإخوان البدو محبة تفوق جميع المحاب من إخوانه واصفياءه ويذكرهم كثيراً وفيما أضن أنه كان إماماً ومرشداً للارطاوية هجرة المطير، أبو حماد الرسي ممن عرف بصلاحه وتقواه وله كرامات يتناقلها الإخوان ومما يذكر أنه كان في سفر إلى الرياض وكان صاحب السيارة يرفع صوت الراديو

بالأغاني ويشرب الدخان فقال له أبو حماد يا رجل آذيتنا بالصوت المحرم كما آذيتنا بالرائحة النتنة فقال السائق: أما الشيخ عمر بن سليم يبيح الغناء في السفر لطرد النوم فقال أبو حماد وهذا افتراء آخر وأثم كثبير اللهم أن كنت كاذباً فعجل عليه عقوبتك قال: فوقف السائق ثم نزل لإصلاح ما أخل بسيارته وكان يشرب السيجارة فاشتعلت سجارته بثوبه والتهمته النار وهو يصيح: دعوة أبو حماد دعوة أبو حماد انقذوني انقذوني فبادر الركاب بكب التراب عليه والماء ولكنه أصبح عائباً لا يستطيع أن يقود سيارته حتى جاءهم من يسعفهم ويوصلهم الرياض، وكما أسلفت كان عابداً صواماً قواماً عفيف اللسان عليه مسحة من بساطة وغفلة الصالحين، حتى لا يميز بين الربح والخسارة في أمور الدنيا فإذا ما جاء المال أسلمه لأحد إخوانه قال: خذ هذا وانفقه على بيتي فكان له زوجتان وبيتان وكان الشيخ عمر بن حسن في الرياض يتعهد بالصدقة والإحسان كما كان وزير الملك سعود محمد بن سعيد كذلك يتعاهد بالإحسان والعطاء قال لي عبدالله المحيسني وهو يرافقه دائماً إلى الرياض: دعاني الوزير ابن سعيد للطعام فكان على مأدبة رفض الشيخ أبو حماد أن يجلس على المأدبة والكرسي وقال: أنا آكل كما كان رسول الله يأكل قال: فأمر الوزير بإعداد الطعام على الأرض وترك المأدبة وكان يفعل ذلك حين يأتي إليه الشيخ أبو حماد. رحمه الله وغفر له.

١٣ـ الشيخ عبدالله السليمان الحميد

ذو الطلعة البهية والسيرة المرضية، كان آخر أعماله رئيساً لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عموم القصيم وقد كان رئيساً للمحاكم الشرعية بمنطقة جيزان، وفي تلك الأثناء التقي بالشيخ عبدالله القرعاوي وتآزرا على الدعوة في الجنوب وكان له بعض التلاميذ والمحبين من أعيان تلك البلاد، حدثني عبدالله الفوزان قال: جاء رجل من أعيان منطقة جيزان وأخبره بأن هناك مكاتبات بين ملك الحبشة (هايلاسولاسي) وبين رؤوساء القبائل مشبوهة، وقام لشيخ عبدالله السليمان فأخبر الأخير فهد ابن زعير وكان إذ ذاك أمير منطقة جيزان فاكتشف المؤامرة التي كانت يحوكها ملك الحبشة للتأثير على القبائل ضد الحكومة السعودية، كنت التقي بالشيخ عبدالله السليمان في كل أسبوع في مجلسه العامر في بريدة، قد كان يجلس فيما يسمى بالإيوان، يتقاطر على زيارته الإخوان في كل جمعة فيتحدث إليهم حديث الرجل البسيط المتواضع وربما قرأ في كتاب وشرح بعض أبوابه، امتاز الشيخ عبدالله السليمان بحب الدعوة والدعاة، فقد تبنى عدداً من المشاريع الدعوية منها حلقات تعليم القرآن وفتح مدارس البنات خاصة كما كان مسجده مسجداً أبابطين لا يخلو من ندوة دينية ومذاكرة علمية، اشتكى الشيخ عبدالله السليمان إلى الشيخ عبدالله بن حميد وكان أذ ذاك رئيس المحاكم الشرعية

كثرة من يحلق لحيته ويسبل ثوبه من الشباب فقال الشيخ عبدالله ابن حميد : احبسهم، ظن الشيخ عبدالله السليمان أن هذا أمر منه بحبس أولئك النفر، فكان يلتقط كل من حلق لحيته ويزج به في السجن حتى تكاثر المسجونون وكان له من الصلاحيات أنذاك ما تفوق صلاحية الإمارة فالأمير لا يسجن إلا لحكم شرعي، ولكن الهيئات لها من الصلاحيات غير المحدودة. فاشتكى الناس وابرقوا للملك سعود صنيع رئيس الهيئات فأمر الملك فوراً بعزله من الهيئات وأخرج المسجونين، والشيخ عبدالله السليمان الحميد له مكانة علمية واجتماعية ولذا لم يكن هناك ما يؤثر على مركزه في بلدة وجماعته وقد استفدت منه كثرة مذكراته وذكر سير من سلف وهو من تلاميذ مدرسة آل سليم متزاملاً مع الشيخ صالح الخريصي. إلا أنه في صباه كان قد كلف بالعمل في المناطق الجنوبية فتحمل ذلك صابراً محتسباً وانتشرت رسائله ونصائحه في الجنوب والحجاز ونجد. غفر الله له واسبغ عليه شآبيب رحمته، فقد كان إماماً في دعوته وحكمته وحبه الخير للغير.

وبعد هذا السرد المجوز لمشايخي واساتذتي ابتداء من الكتاتيب وحلق التعليم أسرد بياناً موجزاً بالعلماء الذين أفادو واستفدت منهم في التعليم النظامي في المعاهد العلمية وفي الكلية واقتصر على من لهم صفة دعوية وعلمية متميزة:

جملة من العلماء وعددهم تسعة

١٤ـ الشيخ عبدالفتاح قاري البخاري: أستاذ القرآن والعالم بالقراءات السبع كان استاذاً في المعاهد العلمية في عام ١٣٧٢هـ حتى نهاية ١٣٧٥هـ. غفر الله له وأصلح خلفه.

١٥ ـ الشيخ صالح بن عبدالرحمن آل حصين: أستاذنا في التوحيد عام ١٣٧٤هـ وقد درس في المعاهد العلمية بالرياض قبل أن يتخرج من كلية الشريعة بمكة المكرمة وكان آخر أعماله مستشاراً في ديوان رئاسة مجلس الوزراء. عالم باللغتين الانجليزية والفرنسية، حافظاً لكتاب الله ذو فهم ودقة في القوانين والأنظمة يتقد ذكاء وقد اختار في آخر أيامه العمل الإسلامي التطوعي مع المنظمات والجمعيات الخيرية التطوعية. أحسن الله عاقبتة ومثواه.

١٦ ـ الشيخ عبدالعزيز المحمد السلمان: أستاذ الفقه والمشتغل بالتأليف والتصانيف الكثيرة أحسن الله عاقبته.

١٧ ـ الشيخ صالح السكيتي: أستاذنا في التوحيد في معهد بريدة وكان ورعاً صادقاً تخرج من مدرسة آل سليم. وقد استفدت منه كثيراً من تدريسه في كتاب التوحيد والعقيدة الواسطية.

١٨ ـ محمد بن صالح المرشد: أستاذنا في الفقه في معهد بريدة له صفة دعوية ومحبة الإخوان وقد أفاد كثيراً في الفقه الحنبلي في دراسة كتاب الروض المربع ومتن الزاد.

١٩ ـ الشيخ مناع خليل القطان: أستاذ في كلية الشريعة في

التفسير وأصوله وهو عالم لغوي.

٢٠ ـ **الشيخ عبدالرزاق عفيفي**: أستاذ الأصول والعقيدة في كلية الشريعة كان آخر أعماله نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء وعالم كبير ومدرس قدير غفر الله له.

٢١ ـ **الشيخ صالح العلي**: أستاذ الفقه في كلية الشريعة عالم متبحر أخذ الماجستير في الأزهر غفر الله له.

٢٢ ـ **الشيخ حمود العقلاء**: أستاذنا في التوحيد شرح كتاب الطحاوية وفقه الله لكل خير.

هؤلاء جملة من بقي لهم الأثر في نفسي وكان لي بهم لقاء خاص زيادة على التدريس في كلية الشريعة لما لهم من صفة أو صفات تملي على الطالب محبتهم وتبقي ذكرياتهم .. غفر الله لميتهم ووفق الأحياء منهم.

أختم هذا الموجز بالدعاء لمشايخي وأساتذتي راجياً أن يستفيد الأبناء والأصفياء مما كتبته والله أعلم. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

٢٣ ـ الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

مسك الختام علم الأعلام شيخ الإسلام إمام الدعوة في عصره، طبق ذكره الخافقين، وعرف بما لم يعرف به غيره من طبقته ومعاصريه، قلما ترى باباً من أبواب الخير إلا وهو يطرقه، ولذا كان أمة في جهوده المباركة، فهو العالم بين طلابه، المضيف بين اضيافه، المنجد لمن استغاثه، الصارم في قول الحق، لا يخشى إلا الله.

صحبته عشرين عاماً في العمل فرأيت من أحواله ما قلّ منها وجل كان قاضياً في مطلع شبابه ثم معلماً حين بلغ أشده واستوى على سوقه، فرئيساً حين اكتملت فيه صفات القيادة وأخيراً جمع بينها كلها فهو المفتي والمعلم، والرئيس وآخر لقب في ميزان الرتب أن كان مفتياً عاماً للمملكة ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء، كان لي به صلة، ما يمضي يوم إلا ومعنا الدفاتر والأقلام نقرأ ويملي ونسأل ويوجه، ونستشير ويشير، أحسن الله خاتمته وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

فهذه جمل قصيرة في والدنا صاحب السماحة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز جعلته ضمن من سجلت اسمه ممن عرفته وتأثرت به من العلماء والأعلام وإن في خاطري الكثير عن أحواله، والقلم

على استعداد لأن يبلل الطرس بالمداد لصحائف وصفحات، إلا أنني التزمت الأختصار وهو يستحق مني ومن غيري الاكثار لذكره وذكر مناقبه فلعل الله يحدث بعد ذلك امرا ويختار من يحبر في مناقبه ما يسر الناظرين ويفرح به كل محب وقريب.

والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على محمد.

* * *

الفصل الثاني

من كل دولة زرتها علم

١ ـ أبو الأعلى المودودي من باكستان

مؤسس الجماعة الإسلامية ورائد النهج السياسي الإسلامي بدولة الباكستان والتي انفصلت عن الهند عام ١٩٤٧، رغبة في إقامة الدول الإسلامية والخلافة الراشدة على أرض الباكستان ومعناها الأرض السعيدة ما كادت الباكستان تعلن انفصالها بقيادة محمد علي جناح حتى تشعب العمل الإسلامي وكانت أولى الجماعات هي رابطة المسلم (مسلم ليك) وهي رابطة سياسية ثم أعقبها جمعية العلماء وهي جمعية دينية سياسية أشهر من تزعمها مفتي محمود ثم جاءت الجماعة الإسلامية لتجمع بين الفكر والسياسة والعقيدة والدين وتختار نخبة من المثقفين ومن هم على المستوى العلمي والثقافي فتسموا بالجماعة الإسلامية برئاسة وريادة المفكر الإسلامي والكاتب أبي الأعلى المودودي وعليه ينصبّ الحديث زار الشيخ أبو الأعلى الرياض ١٣٨١هـ في الوقت الذي كان رئيس الباكستان أيوب خان يطأ أرض الرياض بدعوة من الملك سعود فكان الشيخ المودودي يحرص على اللقاء برجالات العلم في المملكة بل وباكستان ليقول لهم فكرته وتوجهاته السياسية ولعله قصد من زيارته للرياض ليعرب هو عن توجهات الشعب الباكستاني المسلم ويقوم بإعلان الكلمة ضد رئيس الدول والذي يزعم هو الآخر أنه يريد إقامة دولة إسلامية على غرار الخلافة الراشدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. فاجتمعنا بالشيخ المودودي في بيت

أحد جماعته المدعو (محمد أختر رأو) الموظف بمؤسسة الجفالي مع نخبة من طلاب كلية الشريعة بالرياض فقال أحدنا ما صرح به أيوب خان أنه يريد إقامة خلافة راشدة مثل التي قام بها الخلفاء الأربعة فقال وهو يمد صوته بها هو كذاب فكانت لفتة نظر للطلاب الذين لم يعهدوا مصارحة فرد من أفراد شعب ضد رئيسه وممثل حكومته من هنا بدأ الحديث السياسي مع الشيخ أبي الأعلى المودودي وهذا أول لقاء به ومعرفته في ذلك العام ١٣٨١هـ.

الشيخ أبو الأعلى المودودي أسس فكرته الأولى كصحفي وكاتب إسلامي في حيدر آباد الدكن وكان رمزاً للتحرير وإعطاء الفكر الجديد للمقومات الإسلامية ثم أعقب ذلك بما كتبه وألفه من كتب استهدف تحقيق مضامينها بالتنظيم الجماعي والسياسي فمن كتبه التي نالت إعجاب الجميع ولا معقب على ما كتبه كتاب الحجاب للمرأة المسلمة هذا العنوان كأنه يشير إلى أحقية المرأة المسلمة في اتخاذ منهج غير المنهج الغربي وقد تحدث الشيخ عن المرأة في الأمم السالفة قبل الإسلام وما لها وما عليها وعملياً قام أفراد الجماعة الإسلامية بالالتزام وتنفيذ مواد هذا الكتاب كأمر قيادي شرعي ثم كتاب الربا وهو أهم كتاب ألفه في الاقتصاد الإسلامي يفضح الشيوعية والرأسمالية ويعرب عن مبادئ الإسلام الاقتصادية وفق شرعه وتنظيمه أخذت الجماعة الإسلامية بمقاطعة ما يخالف الاقتصاد الإسلامي مع دعوتها للناس وللحكومات الإسلامية للنظر في تبعيتها للمبدأ الرأسمالي ورضاها بالبنوك

الربوية وهكذا فإن الشيخ عندما يكتب كتاباً أو ينشر مقالاً تكون الجماعة ملزمة بتنفيذه وبتطبيقه وقد جعل جماعته على ثلاث مراتب مرتبة أولى وهي المنتظمة في الجماعة لها مالها وعليها ماعليها وتسمى بالجماعة العاملة ويليها مرتبة ثانية وهي مرتبة المؤيدين المناصرين ومن يلتزمون ببعض الالتزامات غير الملزمة ولكن التأييد والمناصرة وحب الجماعة أما الدرجة الثالثة فيدعون بالمحبين وهم المناصرون خارج خط الدائرة ومن هم يحبذون فكرة قيام الدولة الإسلامية على هذا النهج الذي اختارته الجماعة الإسلامية وعلى هذا سارت الجماعة وخطت خطوات صار لها صيت داخل باكستان وخارجه فكان الشيخ المودودي يحمل صفة سياسية وفكرية وعلمية إلى أن توفاه الله في باكستان وهو الزعيم المثالي في ورعه وتقواه وصلاحه ولا زالت الفكرة والمنهج بعد الشيخ تتوارثها الجماعة ويعمل على نفس خط السير الذي رسمه رحمه الله وغفر له.

* * *

٢ ـ أبو الحسن الندوي من الهند

العالم الهندي بيت النبوة وسلالة السادة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

في عام ١٤٠٢هـ توجهت إلى الهند وليست أولى رحلاتي فقد كانت رحلتي الأولى إلى الهند عام ١٣٨٣هـ ولكن هذه الرحلة كانت بخصوص الجامعة العالمية المشهورة والمعروفة بجامعة « ديوبند » إذ وقع الخلاف بين أبناء مؤسسها الشيخ محمد الطيب وبين جمعية العلماء في الهند برئاسة الشيخ أسعد مدني فقد بعثت من قِبل رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة لسبر الأحوال وإعمال الصلح إن أمكن إذ كان الخلاف على أثر دعم مالي سخي من المملكة العربية السعودية وهو مليون دولار سلمه الدكتور عبدالله التركي لأبناء الشيخ محمد الطيب فقام المناهضون لورثة الشيخ ليقولوا إن الجامعة جمعية أهلية عامة للمسلمين وليست لأبناء الشيخ محمد الطيب.

توجهت إلى لكنهو حيث يسكن الشيخ علي ميا أبو الحسن الندوي وأخبرته بالمهمة فاستشرته في الخطة المرضية فأشار علي بما هو خير فتوجهت إلى ديوبند والتقيت بأبناء الشيخ محمد الطيب كما التقيت بالمناهضين لهم واتفقنا على بعض النقاط مما تم تسجيله ورفعه إلى جهة الاختصاص مكثت مع أبي الحسن ثلاثة أيام فرأيت الرجل الزعيم والمصلح القويم الرجل الزاهد

التقي الورع ذا التصوف غير المبتدع العالم الرباني والكاتب الإسلامي الشهير الذي طبق ذكره آفاق العالم الإسلامي وقد كنت قرأت كتابه ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين أبان الطلب فرأيت امرأً عجيباً كما رآه غيري في هذا الكتاب وقد قدم له الأستاذ سيد قطب رحمه الله وطبع طبعات متعددة فبقيت صورة الشيخ وحكمه في ذهني أصور ذلك الرجل الذي ألم بتاريخ بعيد سحيق كما ألم بواقع العالم مسلمه وكافره فكتب كتابه عن روية ودراية وقوة تعبير بأسلوب أدبي رائع فهو الكاتب الأديب والمفكر الإسلامي الشيخ علي ميا المكنى بأبي الحسن بعد كل عصر نجتمع معه في جلسة خاصة ويتحدث ويوجه الحاضرين ويزيدهم من الأخبار وكانت تلك أيام ثورة إيران أو بالأصح الثورة الخمينية قال أبو الحسن التقينا بالحرم المكي الشريف واجتمعنا بالخميني وهو إذ ذاك في المنفى وكان معنا السيد أمين الحسيني مفتي فلسطين وقالوا جميعاً ندعو الله ونحن بجوار الكعبة فأمروني أن أتلوا الدعاء وهم يؤمنون فرفعت يدي وقلت الآية الكريمة: ﴿ **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا** ﴾ ولا أدري إذا كان الخميني قد أمن سراً أو هو أدرك المقصود في الرد على الرافضة الذين ينالون من الصحابة رضي الله عنهم الشيخ أبو الحسن قد لا أحيط بوصفه فهو متعدد الجوانب الكسبية والذاتية إلا أنني أقول إنه رجل علم ودعوة وزعيم ولكن ليست بالزعامة السياسية ولكن بشرف نسبه وعلمه وورعه ورضاه

عن التصوف اكسبه محبة ورضاً من جميع مسلمي الهند وقد يختلف مع الزعيم السياسي الباكستاني أبي الأعلى المودودي في بعض الجوانب السياسية وقد كتب أبو الحسن كتاباً بعد وفاة الشيخ المودودي حول فكر المودودي وسيد قطب كما ألف كتاباً آخر سماه العقيدة والسلوك فالشيخ أبو الحسن وإن لم يتفق تماماً مع المنهج السلفي المعاصر ولا مع الإخوان المسلمين من النواحي الفكرية ولكنه يحاول أن يضيق فجوة الخلاف بين المنهجين ومنهج التصوف السليم وأنىّ له ولكن بقلمه البارع وأسلوبه الفياض قد يكون للشيخ أبي الحسن مدرسة سلوكية عقدية فكرية يكون هو رائدها ولكن تكون في عمر الزمن الطويل وهو يرضى عن المملكة عموماً ويمجد الملك فيصل خصوصاً فقد قال بلسانه أنا لا أبيع ضميري ولو بعته كان ذلك للملك فيصل عدت من الهند بعد عشرين يوماً أحمل معي المعلومات عن كل ما شاهدته وسعيت فيه ومن ذلك إعجابي بهذه الشخصية البارزة الشيخ أبي الحسن حفظه الله.

* * *

٣ـ الحاج نظيم في سيلان

من أعيان سيرالنكا (سيلان) هو شيخ بائعي الأحجار الكريمة والخبير الأول في فحص الجواهر في عام ١٣٩٠هـ توجهت لسيلان لغرض الدعم والمساندة للمدارس الإسلامية والمنشآت الدينية وبها التقيت بالحاج نظيم حيث قد أسس جامعة أهلية أسماها بالجامعة النظيمية وقد دعاه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز فيما بعد لزيارة الرياض ضيفاً على رئاسة البحوث العلمية والإفتاء وأقيم له حفل كبير في برج الرياض، الحاج نظيم شخصية قيادية يجمع بين الثراء والعقل المتزن وهو ليس بالعالم ولكنه يحب العلماء ويتفانى في خدمة الإسلام ينفق جل ثرواته في المشاريع الإسلامية بل يقدم مساعداته لغير المسلمين ما لم تكن في معصية قيل عنه إنه إذا جاءه سائل يقول له كم أضمرت في قلبك إنني أعطيك فإذا قال أضمرت ألفاً أعطاه ألفين ولكن شريطة أن لا يخبر أحداً ركبت سيارة لبعض الجمعيات الإسلامية فسألت كم قيمتها فقالوا أهديت لنا ولكن الذي أهداها قال لا تخبروا أحداً فقلت هو الحاج نظيم فهو الذي يوصي بذلك. من سيرته وفقه الله أنه يأخذ في كل عام حقيبة مملوءة بخالص الأحجار الكريمة متوجهاً إلى لندن فيبيع تلك الأحجار على التجار ثم يعود إلى مكة ويقيم بها شهراً ويعود إلى بلده وهو الذي يقدر قيمة الأحجار ومن العجيب في الأمر أنك ترى حجراً يقدره بالمليون وآخر بمائة فلا يفرق بينهما في الشكل

والحجم والوزن ولكن لماذا هذا الفرق في الثمن سر يعرفه الحاج نظيم وخبراء الأحجار الكريمة والجواهر ذات القيمة والحاج نظيم شخصية مشهورة يقال أنه لا يمكن أن يخلو بيت من بيوت المسلمين في سيلان إلا وقد أحسن إليه وتصدق على أهله فجزاه الله خيراً.

تكررت زيارتي لسيلان كما تم اللقاء بالحاج نظيم فكان في شخصه المتواضع وحبه للخير ما يجب تسجيل اسمه ضمن البارزين في خدمة الإسلام كان إذا ذهب إلى جامعته النظيمية يلبس لباس الطلاب ويقول لا أريد أن أتميز عليهم فأنا واحد من طلاب الجامعة وقد شيد فندقاً ضخماً ليكون للمسلمين خاصة يحرم فيه تناول كل ما هو محرم شرعاً ولكن الدولة لا تسمح بذلك فعاد وعرض الفندق للبيع وباعه خشية فعل الحرام، يسكن الحاج نظيم في قرية تدعى «بيرولا» على الساحل الجنوبي وهو الساحل الذي جاء العرب منه ونزلوا في بيرولا ويكثر في هذه المدينة الأنهار التي يغوص الغائصون فيها لإخراج الجواهر تبعد عن كولمبوا العاصمة قرابة ستين كيلوا إلا أن الحاج نظيم ينزل إلى كولمبوا العاصمة لإدارة أعماله فيها وعن سيلان الجزيرة الصغيرة التي يسكنها اثنا عشر مليون نسمة نسبة المسلمين السدس ولكنهم بجانب هذا متحدون متعاونون سيما وأن أكثرهم تجار فلديهم من المنشآت التعليمية والمساجد والمصحات ما يفوق أنشطة النصارى والبوذيين والحمد لله على ذلك أقمت في سيلان في رحلتي الأولى لها ثلاثة

أشهر متواصلة لم أر عالماً يتفوق في علمه ولكن منسوبي الدعوات الثلاث هم القائمون على كل ما يتعلق بالتعليم والفتوى وأنشط الجماعات فيها جماعة التبليغ ويليها الجماعة الإسلامية ثم جماعة أنصار السنة المحمدية ويتمذهب الجميع بالمذهب الشافعي وأخيراً ترأس الحاج محمد حنيفة عضو رابطة العالم الإسلامي البرلمان السيلاني وهو الشخصية السياسية البارزة في سيلان لكن الحاج نظيم برزت شخصيته في الإنفاق والإحسان وتتبع طرق الخير ولا يدخل في السياسة ولا فيما فيه خلاف بين المسلمين فكان محباً للجميع مؤثراً البذل والمعروف باسم الإسلام أو الإنسانية أو الوطنية والله أعلم.

* * *

٤ ـ الشيخ الدكتور تقي الدين الهلالي من المغرب

العالم الفذ والدكتور المميز

عاش ما يربو على مائة عام طاف خلالها القارات فكان في الهند ونجد وفي المانيا وفرنسا وهو مغربي الأصل النشأة والولادة كان آخر أعماله أستاذاً في الجامعة الإسلامية بالمدينة يقولون عنه أنه يتحدث الإنجليزية والفرنسية والألمانية والأردية ويكتب مؤلفاته باللغة العربية في عام ١٤١٢هـ كنت في المغرب العربي وبالتحديد في مدينة فاس والدار البيضاء، وبها التقيت بالشيخ تقي الدين الهلالي أمضيت معه بعض الوقت وترددت على منزله كما تم التجوال معه في مدينتي فأس والدار البيضاء ومن حوله التلاميذ الذين يحفون به ويتتلمذون عليه وهم قليل إذ كان الشيخ رحمه الله حاد الطبع قوي الخصومة ضد خصمه ومعارضيه ذهبت معه إلى المسجد لأداء الصلاة جماعة فأوقفنا عند باب المسجد وقال ننتظر حتى يكمل هؤلاء الكفار صلاتهم يعني بالكفار التيجانيين وقد ألف كتاباً كفر فيه أصحاب الطريقة التيجانية وللشيخ الدكتور مؤلفات كثيرة طبع الكثير منها وهو شاعر عريق في الشعر أهدى لي قصيدة مديحاً للملك الحسن ملك المغرب فقال لعلك عجبت من مدحي لهذا الملك إن هذه القصيدة أخرجتني من الزنزانة فأنا في هذه السن أزج في السجن ولا ذنب لي إلا عقيدة التوحيد. كان الشيخ تقي الدين يملأ المجلس

بحديثه المتواصل وذكرياته الغابرة عن تجواله في العالم ولكن عاطفته وشوقه وحبه لشعب الجزيرة العربية وقد تتلمذ على مشايخ نجد ومنهم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ المتوفي سنة ١٣٣٩هـ وهو عالم نجد ومفتيها في وقته وقد تأثر به الهلالي واستفاد منه في علم التوحيد والعقائد والسير وذكر حوادث الزمان وتاريخ آل سعود حتى تأصل ذلك في قلب الفتى المغربي تقي الدين الهلالي يتحدث كثيراً عن الملك فيصل وعبقريته قال ذات يوم لقد ذهب الملك فيصل إلى فرنسا والتقىٰ بدكتور فرنسي شهير فعرض عليه الإسلام فقال ذلك الفرنسي أنا اعترض على الإسلام فكيف أسلم فقال الملك فيصل لو درست الإسلام بلغته العربية لأسلمت قال الهلالي فانصرف ذلك الدكتور إلى دراسة اللغة العربية ثم درس الشريعة فأسلم بعدها وحسن إسلامه وهاهو يدافع عن الإسلام بدحض الشبه التي كانت عالقة في ذهنه هو وغيره وكما أسلفت فإن الشيخ الهلالي حاد الطبع يستثيره أدنىٰ خلاف مع خصمه فقد رد على التيجاني بكتاب مطبوع كما رد على جماعة التبليغ وهو على خلاف مع الشيخ أبي الحسن الندوي إذ كان هو أحد أساتذة ندوة العلماء وزامل الشيخ الندوي في ندوة العلماء في لكنو بالهند فكان رحمه الله لا يتورع أن ينال من أبي الحسن وصوفيته.

أما من يرضى عنهم الشيخ الهلالي وفي مقدمتهم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز إذ كان يكن له الود والمحبة ويعترف

بفضله وعلمه وقد سعى سماحة الشيخ ابن باز لدى الملك فيصل بصرف مستحقات الدكتور الهلالي كاملة غير منقوصة بالمدينة وتم له ذلك واستقر بالدار البيضاء إلى أن توفي رحمه الله وغفر له وقد أهدى لي جملة من كتبه ومؤلفاته المطبوعة وفيما علمت أن ما يزيد على عشرين مؤلفاً في فنون العلم قد كتبها وطبعها ويهدي الكثير منها لأحبابه وأصحابه كان شخصية نادرة بحدة ذكائه وصبره وجلده وطول عمره وتقلبه في آفاق المعمورة ولقد أشرف على طباعة وتصحيح ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الألمانية وشارك في إعدادها وإنجازها غفر الله له ولجميع المسلمين وصلى الله على محمد .

* * *

٥ ـ الشيخ محمد الخزرجي أبو ظبي

في عام ١٣٩٥هـ كنت ضمن البعثه الدعوية التي تنطلق في صيف كل عام إلى دولة الامارات العربية المتحدة وكان من نصيبي أن كلفت بالوعظ والإرشاد في مساجد أبو ظبي ما كدت أصل الجزيرة أو شبه جزيرة أبو ظبي حتى ضاقت بي مسالك السكن والاستقرار إذ لا يوجد بها سوى بيت الضيافة التابع للحكومة وأماكن لا يستريح بها المستريح فتقدمت إلى الشيخ الخزرجي وعرضت عليه ما أنا فيه من حال حيث أنني أرغب البقاء في أبو ظبي للغرض المشار إليه ولا سكن ولا استقرار لي وقد استلهمت قول المتنبى :

فيم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

فلبىٰ الشيخ طلبي وأذن لي واستضافني لمدة خمسة عشر يوماً أنست بحديثه وكنت جليسه صباح كل يوم وعصره. كان طلق المحيا كريم السجايا شيق الحديث أنيس الجليس لا يمل من الحديث عن ماضيه فهو يجيد البيان بأدب ورويّة فلا يجرح شعوراً ورغم مع ما نحن عليه من خلاف معه في التمذهب والسلوك والاعتقاد فإني لم أسمع منه كلمة جارحة أو خدش كرامة بالنيل من توجهاتنا السلفية ومذهبه مالكي وتتلمذ على علماء شيعة في الإحساء قال في حديثه لقد درست على عالم شيعي في النحو وفي الفرائض ودخلت ذات يوم المسجد وكان أول يوم من عاشوراء

فلما رآني شيخي حوقل وألم برأسه من هذه المصيبة التي وقعت عليه حينما رأى رجل السنة في المسجد خالياً ومن معتقدهم وجوب قتل السني إذا خلا به في يوم عاشوراء ما لم يكن معه سيف أو سكين أو حديدة قال فلما رآني الشيخ الرافضي وهو يكرر بلوتنى بلوتنى بنفسك فهل اقتلك أم أدعك قال الشيخ الخزرجي فما ظننت أن هذا المعتقد عند الشيعة يبلغ مبلغ التنفيذ حتى رأيت هذا الشيخ الذي كان يجلني ويحترمني أستفيد منه في علمي الفرائض والنحو هذه واقعة أكدها الخزرجي في حديثه العابر عن ماضيه الغابر.

أعود فأقول أن الشيخ الخزرجي نختلف معه تماماً في توجهاته السلوكية والعقدية فهو إلى التصوف أميل وإذا الأشاعرة المأوله للأسماء والصفات أقرب إلا أنه لم يقل حديثاً يؤذي به جليسه ولا يمن بحديثه في أمور عامة مكثت معه خمسة عشر يوماً ومعي الأخ الشيخ ساطع الجميلي. عراقي يسكن الأرجنتين بأمريكا الجنوبية وودعت الشيخ الخزرجي بعد تلك المدة ولا زالت ذكرياته بالذاكرة وكما قلت هو مالكي في الفقه صوفي في السلوك أشعري في العقيدة ولكنه ذو ذوق رفيع ورجل سياسة وقيادة وقد لا تحكم عليه ولا له في ضبط توجهاته وتحديد غايته إلا بعد تجربة وروية وأخيراً توزر في الدولة فكان وزيراً للشئون الإسلامية وانضوى تحت وزارته المساجد والأوقاف وشئون الدعوة فانحسر لنا من معتقده وأعلنها صيحة ضد النهج السلفي وظهرت تهجماته على

الدعوة المباركة في الجزيرة العربية دعوة الإمام المصلح محمد بن عبدالوهاب وانفصمت تلك الأخوة بينه وبين علماء المملكة وقد احتضن جمعاً من المتعلمين من مصر والشام واليمن والسودان فلهم أفضلية التعيين في المساجد والتعليم هاهو الخزرجي وقد تجاوز عمره السبعين ولا نعلم خاتمة أجله ومنتهى عمله سجلته لبروز شخصيته ومعرفتي له ضمن من أكتب عنهم ومن لقيتهم من العلماء والأعيان ولا أعرف له مؤلف أو مشاركة في البحث إلا أنه رجل سياسة ورائد رئاسة والله من وراء القصد وهو القادر على كل شيء ونستغفر الله ونتوب إليه.

* * *

٦ـ الشيخ عبدالعزيز بن راشد الحَسني من مصر

في عام ١٣٨١هـ توجهت من سوريا عن طريق ميناء اللاذقية إلى ميناء الإسكندرية امضيتها يومين في البحر وفي الإسكندرية التقيت بالعالم السلفي الأثري الشيخ عبدالعزيز بن راشد هكذا شهرته أما بقية نسبه فهو كما قيل من بيت النبوة ينتمي إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم من أهل المفجير بالحريق جنوب مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية هاجر منها إلى مصر لطلب العلم لعل ذلك في حدود ١٣٤٨هـ أو بعده بقليل فاستقر في مصر واستفاد من علماء الأزهر حدثني شيخنا الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله قال اجتمع نخبة من أهل نجد لطلب العلم فكانوا ثلاث فئات فئة اختارت علم الحديث ودراسته ومنهم الشيخ عبدالعزيز بن راشد وأخرى اختارت علم التوحيد والعقائد ومنهم الشيخ محمد أبو يابس من أهل القويعية من نجد أما الفئة الثالثة فهي التي ارتمت في الحضيض لدراسة المستجدات من أحوال العالم وتتبع ما ينشر في الصحف والمجلات من الإلحاد والزندقة ومنهم عبدالله بن علي القصيمي وقال الشيخ عبدالرزاق إن السفير السعودي فوزان السابق كان يدفع للطلاب السعوديين مكافأة وكان يفضل عليهم خير الدين الزركلي فكان القصيمي أو بالأصح الصعيدي يستنكر تفضيل الزركلي عليهم وقال فضيلته قد يكون من أسباب انحراف الصعيدي هو الحسد والحقد وتفضيل

نفسه على غيره والعجب الذي أخرجه عن دائرة العقل والدين
الشيخ عبدالعزيز بن راشد من أولئك الذين أخذوا مسلك السلف
أهل السنة والجماعة فكان رئيساً لأنصار السنة في الأسكندرية
وهو عالم فاضل متبحر في علم الحديث مع ما هو عليه من سمة
الوقار والهيبة وكان يتزيئ بالزي الأزهري الجبة والعمة في نهاية
١٤٠٤هـ قدم إلى المملكة وجاور فيها وحاول أن ينشر كتبه وآراءه
في الحديث ومنها كتابه الاكتفاء بصحيح البخاري ومسلم عن
أمهات الكتب في علم الحديث وكان له حلقات تعليم في الحرم
المكي كل يوم إذ كان رئيس الإشراف على المسجد سماحة
الشيخ عبدالله بن حميد وهو العالم الفقيه المتمسك بالمسلك
الحنبلي الفقهي غير أنه الشيخ ابن راشد يرى في منهجه علم
الحديث فقط. لم يكن للشيخ بن راشد شخصية نافذة ولم تستقم
حاله في الحجاز، وليس له شعبية أو تلاميذ يأخذون منه توجهاته
فبقى محصور النشاط كيف وقد تغيرت عليه الأجواء وفيما أظن
أنه عاد إلى مصر وتوفي هناك أعرف ابن أخيه المدعو سعد ويحدثنا
كثيراً عن عمه الشيخ عبدالعزيز بن راشد أما لقائي به في الإسكندرية
عام ١٣٨١هـ فكان لقاءً عاماً في مجالسه ودروسه ولم يكن رحمه
الله ذا حفاوه بالزائر والغريب فلذا لم إحظ بدعوته ولا بزيارة بيته
بخلاف زميله الشيخ محمد أبو يابس من أهل القويعية فقد ألح
وأصر على دعوتي وتناول طعام الغداء معه وكان أبو يابس مرحاً
متحدثاً لديه آفاق بعيده في معرفة الرجال والسير إلا أنه يصر على

البقاء في مصر لمعيشته العائلية مع فقره وحاجته وقد عاد أبو يابس إلى المملكة وتوفي فيها بعد مرض طال به. وقد توفي الشيخ ابن راشد ولم يذكره أحد في تراجم النجديين كأمثال من كتبوا عن علماء نجد إذ كان رحمه الله عاش جل وقته في مصر وإن كان وطنه الأول ومكان ولادته بمدينة الحريق وليس للشيخ ابن راشد أي توجهات سياسية ولا معرفة بمكر السياسة ولكنه العالم السلفي المتعاون مع أنصار السنة التي أسسها الشيخ حامد الفقي رحم الله الجميع وغفر لهم.

* * *

٧ـ أبو بكر جومي من نيجريا

رئيس قضاة الشمال ومؤسس جماعة انصار الإسلام

هو الشيخ العالم الفقيه المصلح الداعية عضو رابطة العالم الإسلامي والمستشار الخاص للزعيم المقتول ظلماً أحمد أبولو رحمه الله رئيس وزراء شمال نيجريا ومن أحفاد الداعي المصلح المجدد الشيخ عثمان فيدو عليه رحمة الله في عام ١٣٨٧هـ ارتحلت إلى نيجيريا وهي أكبر دولة أفريقية لغرض الدعوة إلى الله ومكثت بها تسعة أشهر كانت الثلاثة الأخيرة منها في شمال نيجريا أتجول بين مدنها الثلاث كادونا وكانو وسكوتوا والتي تسمى الأخيرة « دار الخلافة » يسكن الشيخ أبو بكر جومي في كادونا وفيها التقيت به ثم كانت الجولة التفقدية للمحاكم التابعة له في شمال نيجريا صحبته في هذه الجولة ورأيت عجباً في التحاكم في المحاكم النيجيرية فالقضاة خمسة يشتركون في قضية واحدة وهم كالتالي: القاضي الشرعي، والقاضي العسكري، والقاضي المدني، والقاضي العرفي، والقاضي الدستوري حضرت إحدى الجلسات فعجبت كيف كل قاضٍ يحاول أن تكون القضية لا يتعارض الحكم فيها مع تخصصه وكان الشيخ أبو بكر جومي هو الشخصية البارزة في الموضوع إذ كانت القضية عائلية زوجية ولازمت الشيخ أبا بكر جومي في بيته ومسجده وأسفاره فرأيت الرجل التقي الذكي الورع الصالح ومع بساطة مظهره ولين منطقه فإن له الهيبة والوقار سيما

من بني جنسه وقبيلته الهوسا كان أبو بكر رحمه الله المستشار الأمين لرئيس الوزراء أحمد أبولو قلت له ذات يوم لقد أعلنت الإذاعة أن الزعيم أحمد أبولوا ستر قبر جده الشيخ عثمان بالحرير الأسود فأين استشارتك فقال لم يستشرني في هذا وقد نصحته بذلك فقال لم يكن جدي بأقل من أحمد تيجاني وقد ستر قبره بالحرير الأسود وقد كان أحمد أبولوا زعيماً في السياسة مناهضاً لأسرائيل لكنه يجهل مقاصد التوحيد ولهذا أقدم على فعلته المنكره وضع الستائر على قبر جده، ترأس الشيخ أبو بكر جومي جماعة أنصار الإسلام وهي جمعية تنحى منحى السلف بعيدة عن الابتداع والتصوف وقد دعم الملك فيصل هذه الجماعة بواسطة رابطة العالم الإسلامي كما أن الزعيم أحمد أبولوا يرضى عن هذه الجماعة ويؤيد مسيرتها فقد كان هو الآخر يقوم بالدعوة في القرى والأحراش والغابات ومن حكايته أنه يأتي القرية ومعه الملابس والمسابح (جمع مسبحه) فيقول للناس من أخذ ثوباً ومسبحه ولبس الثوب وسبح لله هكذا كان مسلماً فيتبادر الناس إلى أخذ الثوب ولبسه وفي أيديهم المسابح ثم يعلن تلقينهم التوحيد جماعياً ويكتب على القرية بأنها قرية مسلمة يمنع التبشير من دخولها ويؤسس فيها المساجد والدراسة القرآنية وتقوم جماعة أنصار الإسلام بمتابعتهم وتثبيتهم على دينهم. وأبو بكر جومي هو الموجه الأول والراسم خطط العمل في القرى والمدن وقد قامت دولة الكويت ببناء مدرسة كبيرة تدعى بكولج الصباح سلمتها جماعة أنصار

الإسلام للتعليم العصري وهي مدرسة تضم المراحل الثلاث ابتدائي ومتوسط وثانوي كما أن رابطة العالم الإسلامي ورئاسة البحوث العلمية وجهت عدداً كبيراً من الدعاة لمناصرة الشيخ أبي بكر والقيام بجانبه في الدعوة إلى الله حتى ضاق التيجانيون وانحسر نشاطهم في كادونا بالذات أما مدينة كانوا فيتمركز فيها الشيخ محمد ناصر وهو شيخ الطريقة القادرية وهو على جانب كبير من الخلق والأدب واحترام الزائر وفي سكوتوا تفرخ التيجانية وهي دار الخلافة كما يسمونها وقد كان الشيخ عثمان فيدو قادرياً ثم تحول أبناؤه وتلاميذته إلى التيجانية ومنها وفيها تجمعاتهم يلتقون بالشيخ إبراهيم إناس الكولخي التيجاني زعيم الطائفة التيجانية في غرب أفريقيا وخلاصة القول أن الشيخ جومي عالم مصلح مجدد سلفي توفي على تلك الحال الرضية والطريقة السنية عليه رحمة الله وبركاته ويغفر الله لنا وله.

* * *

٨ـ أحمد كفتارو في سوريا

مفتي سوريا وابرز علمائها الرسميين

تعرفت عليه عام ١٣٨٠هـ حينما كنت أرتاد مجالس تعليمه في حي الأكراد بضاحية دمشق من جمهورية سورية ولم يكن هناك أي لقاء مباشر إذ كان محاط بالأبهة الصوفية والاحترام المقدس لدى أتباعه وأشياعه ولكنني أمضيت شهراً في دمشق أرتاد مجالس تعليمه ومذاكرته في الجامع الأموي وفي مسجده بحي الاكراد عرفت رجلاً ذا ذلاقة لسان وساطع بيان ونعومة في التعبير ودقة في التفكير كان يستقطب تلامذته ومريديه بضرب الأمثال والحكايات القصصية ليظهر منزلته القيادية بين أتباعه وأشياعه قال ذات يوم لقد زار الرئيس جمال عبدالناصر دمشق وذلك أيام الوحدة بين مصر وسوريا فاستأذن علماء الشام للسلام على الرئيس عبدالناصر فرفض مقابلتهم ولكنه مع هذا ذهب الرئيس عبدالناصر إلى زيارة القساوسة النصارى في بيوتهم أتدرون لماذا يا شباب يرفض الرئيس عبدالناصر مقابلة علماء الإسلام ويذهب هو بنفسه لزيارة رجالات الكنيسة فأجابهم أنا أدري السر في ذلك أنتم فأنتم المسلمون لا تعتبرون علماءكم ولا قادتكم الدينين كاعتبار النصارى لقادتهم وقساوستهم أليس هذا هو السر فقالوا نعم بمثل هذه الحكاية أو القصة الواقعة يتسلم الشيخ أحمد كفتاروا مركز القيادة والمشيخة الكبرى فهو شيخ الطريقة

النقشبندية كما هو مفتي سوريا الرسمي حضرت جلسات الذكر لمريدي الطريقة فمما قالوه الرابطة الشريفة فسألت ما معنى هذا؟ فأجابوني بأن المعنى أن تربط قلبك بالشيخ والشيخ يوصلك إلى الله فلا طريق إلى الله إلا بواسطة الشيخ وربط قلب المريدي والتصور التام لذاته وصورته في قلب مؤمن خاشع مسلم للشيخ على الطريقة النقشبندية وفي عام ١٤٠٤هـ زار هو سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز في الرياض وطلب إرسال وفد منه لزيارة مدارسه ومشاريعه التعليمية فوقع التكليف من قبل سماحة الشيخ ابن باز عليّ وعلى زميلي الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين وكلفنا بزيارة الشيخ أحمد كفتارو في دمشق لإعطاء مرأيتنا حول التعاون معه ودعمه ومساعدته التقينا بالشيخ أحمد بعد عودته من روما وزيارة الفاتيكان فكان في حديثه عن البابا والفاتيكان ما استغرق جل الوقت إذ كان معجباً غاية الإعجاب بقدسية رجل الدين النصراني ومكانته بين أتباعه فكأن الشيخ يطمع أن يكون كذلك. الشيخ أحمد كفتارو بقي ولا يزال مفتيا لسوريا أكثر من ثلاثين عاماً وهو شخصية لبقة حذر وفي حديثه ما يسلب الألباب مع تصنع التواضع وبعد نظره واستقطابه القادة غير الإخوان المسلمين وسمعت أنه قد إحتدم مع الدكتور مصطفى السباعي ومع حركة الإخوان في سوريا كما كان يختلف مع النهج السلفي كل الاختلاف لكن السلفيين في سوريا ليسوا أهلاً لرفع الخلاف ولا مساواة بينهم وبين الإخوان في المنهج السياسي

والتنظيمي ولذا كان الشيخ أحمد لا يعتبرهم حركة مناهضة لتوجهاته القيادية في سوريا. عدنا من سوريا نحمل في حقائبنا التقارير عن مشاهداتنا لمدرسة المفتي وما هي عليه من تنظيم وإتقان وجوده إلا أن المنهج لا يمكن أن يتغير أو يعدل فيه شيء ومن الجدير بالذكر أن حي الأكراد وهي القبيلة التي ينتمي إليها الشيخ أحمد فيها جدث محي الدين بن عربي صاحب الفصوص ومن أرباب وحدة الوجود وهو ليس بجدث وإنما هو مزار ومشهد ووثن يعبد من دون الله للاستعانة والاستغاثة والتبرك وللإختصار أوجزت ما ذكر عن الشيخ أحمد كفتارو وإن كان في ذاكرتي الشئ الكثير عنه غفر الله له.

* * *

٩ ـ الشيخ علي عيسى من تايلند

مصري الولادة والنشاة تايلندي الجنسية والإقامة

انتقل الشيخ على عيسى من مصر إلى تايلند بانكوك وتزوج من أسرة عريقة في تايلند وأسس جمعية أسماها جمعية أنصار السنة وقد قام أبو زوجته ببناء مسجد ضخم في ضاحية من ضواحي بانكوك واتخذ من المسجد مركزاً للنشاط وتحركاته الدينية الدعوية قابلت الشيخ في بانكوك عام ١٣٩٥هـ واستضافني في مركزه وبقيت معه مدة من الزمن تتجاذب الأفكار والأحاديث في محيط الدعوة والعقيدة وكان سلفيا بالطبع إلا أنه يفضل العمل الانفرادي غير الجماعي مع مسلمي تايلند إلا من يأتي معه بالتبعية فلذا كان بينه وبين مسلمي فطاني فجوة واسعة اتهمه الطرف الثاني بميله للحكومة ومحاولة صرف العرب عن مساعدة مجاهدي فطاني والحقيقة ليست كذلك فالشيخ علي عيسى متجنس ليس من أهل تايلند أصلاً ومن سكان عاصمة تايلند وممن صاهر أعيانها فلذا لا يرى لنفسه دوراً في سياسة بلد هو غريب فيها وقد قام الشيخ على عيسى بترجمة كتب كثيرة إلى اللغة التايلندية من اللغة العربية وكلها تدور حول العقيدة والأخلاق غير السياسة والحكم وللشيخ على عيسى أسلوبه الخاص في كسب المؤيدين والمناصرين له من تايلند وخارجها فكان على صلة وثيقة برابطة العالم الإسلامي إلا أنه ليس عضواً فيها كما كان يتردد على زيارة

بعض الأمراء في المملكة ومنهم الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض أما في تايلند فكانت صلته بشيخ الإسلام صلة المودة والاحترام والتقدير ومنصب شيخ الإسلام في تايلند منصب تقليدي ترشحه الدولة ليبقي رمزاً للمسلمين ويكون همزة وصل بين المسلمين والحكومة ومن المعلوم أن الحكومة في تايلند ملكية بوذية تهتم بالتقاليد وتوارث ما هو معمول به في تاريخها الطويل ومن ذلك منصب شيخ الإسلام الذي أخذه المسلمون من الحكومة العثمانية مما هو جار في تقاليدها أيام الخلافة العثمانية إلى أن أصبحت دولة علمانية تنكر كل شيء عن الإسلام.

نعود إلى الحديث عن الشيخ علي عيسى المصري الذي أفاد بلاد تايلند وبالأخص العاصمة بانكوك وكان له الدور البارز في توضيح منهج أهل السنة والجماعة في توحيد العبادة والأسماء والصفات بل وبعدهم عن الطرق الصوفية وتقديس المقابر وتعظيم الوثنية إلا أن تأثيره ببطء فهو لا يرى الحماس والإندفاع ولكنه مؤسس على الأصوليات والكليات في الدين وقد أسمى مسجده (الإيمان) فكان يطمع إلى تعريف الناس الإيمان بالله وبما تضمنه القرآن والسنة في التوجيه العقدي الصحيح وهو التعبد الشرعي المطابق للسنة أما مجال السياسة والحكم والإدارة فهو في منأى عن هذا كله وقد قيل رحم الله إمرأ عرف قدر نفسه فهو لا يريد أن يزج نفسه وتلامذته في تيارات السياسة والحكومة ولذا اقتصر نشاطه على ما ذكر تكرر اللقاء بالشيخ علي عيسى في الرياض

وفي مكة فكان ذلك الرجل الذي لا يتغير في فرحه ومرحه وبشاشته وأسلوبه البياني وتذلله لمخاطبه وكثرة الدعوات التي يطلقها على من يخاطبه كقوله رعاك الله وحفظك الله وهكذا فإن البيئة المناخية في تايلند تعطي الداعي أسلوباً من أساليب الدعوة وهو الافتقار والرغبة في التأثير على الغير بذلك الأسلوب المتواضع إلى حد التذلل والافتقار ولا يلام الشيخ علي عيسى فيما انطبعت عليه أخلاقه فقد كسب الكثير بهذا الأسلوب ولهذا يمكن أن نصف ذلك الخلق بالداعية المستجدي بخدمة دينه وأمته الإسلامية ولو من يظن أن فيه إهانة وتحقير إلا أن المهم النتيجة والفائدة ما لم يكن الأسلوب فيه معصية ومخالفة لشرع الله عز وجل أختم القول عن الشيخ علي عيسى بأنه رجل الدعوة والفطنه وقد أصفه بالإمام لأهل السنة والجماعة في تلك البلاد التي غطت عليها سحابة الظلمات من الشهوات والشبهات فتايلند مسرح الفجور والحكم فيها للبوذيين من التايلنديين والصينيين هذا والله أعلم وصلى الله على محمد.

* * *

١٠ـ أحمد بشير من الفلبين

أحد علماء الفلبين وقادتها الإصلاحيين أسس جمعية إقامة الإسلام في مدينة مراوي «مندناو» التقيت به في عام ١٣٩٨هـ في مراوي بالفلبين فرأيت الرجل الصالح المصلح المجدد لما اندثر من معالم الإسلام في بلده وبني جنسه من الفلبنين وقد امتاز الشيخ محمد بشير بهدوء الطبع وحكمة القول مع قلة في الكلام وكثرة من الأعمال فكان رحمه الله يقرع القلوب بنبرات صوته المنخفض ويؤثر على النفوس بنظراته الحزينة على الإسلام والمسلمين ورغم وجود مقاومة ضد الحكومة الفلبينية من المسلمين إلا أنه بحكمته استطاع أن يشق طريقاً يرضي فيه المسلمين ويكف شر الحكومة من التعرض لنشاطه ودعوته وكان يتجه إلى تعليم الصغار والكبار من الذكور والإناث وقد كان له صلة قوية بالمملكة العربية السعودية وبالأخص رابطة العالم الإسلامي ورئاسة البحوث العلمية وقد استطاع بمجهوده المباركه أن يخرج جيلاً إسلامياً سليم العقيدة واضح الاتجاه لم تشبه شائبة البدعة ومن هذا الجيل انتشروا في أنحاء الفلبين فأقاموا المدارس وعينوا الأئمة في المساجد وأخيراً وبواسطة الوزير السابق محمد عبده يماني أمر الملك خالد رحمه الله بمبلغ مليون دولار لشراء مطبعة تسلم لجمعية إقامة الإسلام في الفلبين فقام الشيخ بشير بشراء مطبعة ضخمة في مانيلا عاصمة الفلبين فكانت أولى مطبعة عربية إسلامية نفع الله

بها وسدّ بها ثغرة في طباعة الكتب المدرسية والمنهجية في مدارس جمعية إقامة الإسلام وقد امتدت الأيدي السعودية المحتسبة بالتآزر مع الدعاة في الفلبين وأقاموا لهم أنشطة خيرية في مدينة مراوي وفي مدينة أخرى كالأخ الكريم الشيخ سعود العوشن وفضيلة الشيخ محمد بن قعود والداعي الشيخ حمود اللاحم ولا زالت أعمالهم مستمرة أما الشيخ بشير فقد انتهى به الأجل وبقيت صحائف أعماله تملأ بتلك الحسنات التي غرسها وسقاها فبقيت تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

تكرر اللقاء بالشيخ محمد بشير في الرياض وفي مكة وفي الفلبين وظلت الصلة به في مجال الدعوة والتوجيه وكان كما ذكرت عاملاً صامتاً وموجهاً مرشداً تستتشف منه الرغبة في الزيادة والإفادة ممن يستمع إليه ولكنه يعرف من نبرات صوته ومن بريق عينيه المساحة وعلمه بأكثر ما نقول له لعل التجارب التي مر بها الشيخ بشير تعطيه أو أعطته علماً هو الإصغاء لكل ما يقال له من غير رد عليه أو مجابهة بنقاش في رأي قابل للأخذ والعطاء قام الشيخ محمد بشير بالدعوة في زمن لم يكن هناك من يتحرك وفي نصف قرن تقريباً أينعت تلك الدعوة وأثمرت ولا تزال.

دخلت سكن الشيخ بشير في مراوي فرأيت منزلاً خاوياً من الأثاث والفرش التي ينبغي أن تكون لمثله مع قدرته المالية وكثرة أنصاره وأعوانه ولكنه بهذا يريد أن يعلم من عمل معه ضرورة التقشف والزهد والقناعة وأنه لا اعتبار في الدنيا إلا بالعمل الصالح

ويمكن أن نصنف الشيخ محمد بشير من الدعاة العمليين وليس له فكر محرر أو توجه خاص أو دعوة إلى عقيدة غير ما عليه السلف ومن هذا الجانب أشبه بالمكمل والمتمم والمصلح على نهج من سبقه من علماء المسلمين ودعاة الخير والإصلاح رغم محبته لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلا أنه لا يظهر الانتماء لغير المذهب الفقهي الشافعي كما أن علماء مكة وأعيانها يطمئنون إليه لصدقه ومحبته وتواضعه وعدم إصراره على شيء يكون فيه مأخذا وما يلام عليه وهو أشبه بالماء الزلال الذي يتخلل في مسيره الهابط وفتحات الصخور فهو يمضي إلى حيث شاء ولا يلتفت إلى من يعكر صفو سيره فهو ذو حكمة وروية ودراية والأهم من هذا كله هو إخلاصه الصادق وبذله المتواصل حتى أتاه الله ما يريد أو بعض ما يريد فعلى مثل هؤلاء العلماء تنهض الأمم وتسود الشعوب بالعلم والتقوى والله الهادي إلى سواء السبيل وهو ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد وآل وصحبه وسلم.

* * *

١١ ـ الشيخ عبدالله بن زيد بن محمود من قطر

علامة قطر ورئيس قضاتها

ينتسب إلى البيت الشريف آل النبي ﷺ

كانت ولادته في حوطة بني تميم وتتلمذ على علماء الرياض وطلبه آل ثاني حكام قطر ليكون بمثابة المفتي والمعلم فكان كذلك فقد أكمل دراسته على العلامة الكبير الشيخ محمد المانع وفي عام ١٣٨١هـ كان لقائي بالشيخ عبدالله بن زيد بن محمود في الدوحة عاصمة قطر حيث كنت ضيفاً على حكومة قطر والتقيت بالشيخ عبدالله في منزله وفي مكتبه حينما كان رئيساً للمحاكم الشرعية وقد أكرمني وزاد في إكرامي حيث كان ممن يعتز بضيافة الأضياف وبالأخص من يقدم عليه من جنوب الرياض ولقد رأيت في الرجل حب الزعامة والقيادة والظهور على أضداده وانداده بارع اللسان ساطع التبيان جهوري الصوت مع دقة في صوته ولكنه يرفعه ويعليه رأيته وهو يملى على كتبته وموظفيه بصوته العالي ويكرر ما يمليه حتى يكاد يحفظ من كثرة ترداده وذلك للتأكيد على كتابة ما يقوله وتحضيره بلغ الشيخ عبدالله بن زيد بن محمود السده والمنتهى عند أهل قطر وبالأخص آل ثاني وأعيان البلد وقل أن يصدر أمر فيما يخص الدين إلا وللشيخ عبدالله رأيه فيه المقدم كما كان يصلح ويتدخل في شئون الأسر والقبائل إذا لم يجر الأمر مجرى الحكم الشرعي. وقد اتخذ لنفسه خطاً في

مناوأة أو مجابهة علماء الرياض فكان يؤلف ويكتب في مسائل اتفق عليها أو رآها علماء المملكة في مثل ما كتبه في جواز رمي الجمرات قبل الزوال في أيام التشريق ومثل ما رآه في مدائن صالح من أنه لا حرمة لها ولا بأس من السكنى فيها وفي أشياء كثيرة رد فيها على علماء الرياض وكانت بينه وبين الشيخ عبدالعزيز بن رشيد تبادل ردود وأخيراً ألف كتاباً عنونه بقوله (لا مهدي ينتظر بعد خير البشر) رد عليه الشيخ حمود عبدالله التويجري في مجلد وكان سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم رد على المحمود في المناسك رداً مقذعاً إلى درجة التفسيق لأن الشيخ عبدالله بن محمود وعد بالتراجع عن ما قاله فلم يفعل.

تكررت زيارتي لقطر وفي كل حين أتوجه إلى منزل الشيخ أو مكتبه للسلام عليه فأجد الترحيب والإكرام وهو لا يضيق ذرعا بالضيوف ولكنه يفتح صدره ويسر لمن يقدم عليه وقد أوسع الله عليه بدنياه كما أن في ذريته من خلفه في رئاسته المحاكم الشرعية وهو ابنه الأزهري الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن محمود.

حدثنا قاسم درويش فخروا وهو من تجار البلد وأعيانها قال كنت دفنت ساحل البحر فأقمت عليه البناء وكنت بهذا قد حييت أرضاً ميتةً بالدفن والبناء إلا أن الحكومة اعترضت عليّ ورفعت ضدي قضية لدى الشيخ عبدالله بن محمود قال فحكم عليّ الشيخ عبدالله بأن أرفع يدي واعتبر ما فعلته تعديا على الأرض الموات ولكنني راجعت الشيخ على بن عبدالله بن ثاني الحاكم في وقته وطلبت

منه أن يأذن لي باستفتاء الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة العربية السعودية أو يطلب الشيخ محمد المانع بأن يعطي رأيه في المسألة قال الشيخ قاسم درويش فطلب الشيخ علي بن ثاني من الشيخ محمد المانع وكان آنذاك جليسه وأنيسه فاعتذر الشيخ محمد المانع عن الفتوى ولكن قال أنا أكتب للشيخ محمد بن إبراهيم في الموضوع فكتب للشيخ محمد بن إبراهيم فكانت الإجابة أنت والد الجميع ولا يمكنني أن أفتي في بلد وأنت فيه قال وكلف الشيخ محمد بن مانع أن يفتي في المسألة قال فأفتىٰ بما هو في صالحنا وأخيراً فإن الشيخ عبدالله يعتبر الشخصية البارزة العلمية لا منافس له ولوجود بعض العلماء كالشيخ أحمد ابن حجر بن طامي والشيخ يوسف القرضاوي والشيخ عبدالمعز وغيرهم كثير إلا أنهم يتقاصرون عن الشيخ عبدالله بن محمود لطول باعه العلمي وصلته بالأفراد حكام البلد وبأعيانها وما امتاز به الشيخ عبدالله من كرم وسخاء وحدة وذكاء وفطنه يعرفه القاصي والداني يشفع لذلك مركزه كرئيس محاكم شرعية تصدر منه الأحكام فيجرى تنفيذها وكان الشيخ خليفة بن حمد ولي العهد في وقته هو الآخر يقضي في بعض ما يرفع له ويعطي فيها أحكاماً مدنية بمشورة من حوله من قضاة القانون والله أعلم.

* * *

١٢ـ فتحي يكن من لبنان

بفتح الياء والكاف لبناني من أهل طرابلس

التقيت به في عام ١٣٧٩هـ في طرابلس لبنان وقد أسس جمعية أسماها جمعية الأخلاق التف حوله جمع من الشباب المتدين وقاموا بحملة سياسية إعلامية ضد جمال عبدالناصر إبّان الوحدة مع سوريا ومصر فكان لهم دور في توجيه الشباب اللبناني توجيهاً إسلامياً بعيداً عن النظرات القومية والأحزاب الاشتراكية وقد استقوا أفكارهم من الدكتور مصطفى السباعي زعيم الإخوان في سوريا الشيخ فتحي الدين يكن شاب فطن متيقظ فتح خطاً للدعوة الإسلامية بين خط الإخوان وبين خط حزب التحرير فسمى جمعيته الجماعة الإسلامية فراراً من التسمية بالإخوان فيكون له ما لهم وعليه ما عليهم ولمناداته بالحكومة الإسلامية والدستور الإسلامي فقد يقع عليه انتماؤه لحزب التحرير الذي اسسه تقي الدين النبهاني فتخلّص بالتسمية من الاتجاهين الإخواني والتحريري وإن لم يكن هناك خلاف في المبدأ ولمنطلقات الأساسية. التقيت بالشيخ فتحي يكن في جلسات متكررة وإن لم يكن هناك صحبة أو صداقة إلا أنه يحترم الوافد والزائر لجماعته ومركزه كان لهم جريدة تدعى بالمجتمع ثم حولوها إلى الشهاب وقد توقفتا معاً لما فيهما من حراره وتوجه سياسي إسلامي يشجب المبادئ والاتجاهات غير الإسلامية وربما تعرضتا لبعض الشخصيات فكانا

توقفهما عن الإصرار والاستمرار ما يبرر ذلك الاتجاه غير المقبول في الجو السياسي العام سواء في سوريا أو لبنان أو في مصر أو في دول الخليج ظل الشيخ فتحي يكن يعمل جاهداً حتى توصل أخيراً لأن يرشح عضواً في البرلمان اللبناني وهذا أول مكسب سياسي لجماعته بعد ما يزيد على ربع قرن من المحاولة والجهد لخدمة الدين عن طريق السياسة ومجالس البرلمان وفي ما سمعنا أنه ولأول مرة في تاريخ برلمان لبنان توقف جلسات المجلس لأداء صلاة الجمعة ويقال أن هذا بتأثير الشيخ فتحي يكن ومطالبته بذلك وهذا شيء حسن.

ألّف الشيخ فتحي يكن وكتب الكتيبات ومنها مشكلة الدعوة والدعاة فكان قلمه مقبولاً إلى حد ما إلا أن ما يكتبه ليس فيه جديد فهو ترديد أفكار من قبله من كتاب الإخوان كسيد قطب ومصطفى السباعي وترديد وتكرير لمنهج الشيخ حسن البنا وخطط تربيته للشباب المسلم ولهذا لم يكن للشيخ فتحي يكن صفة ريادة وقيادة في الإبداع والتفكير غير حسن الصياغة والأسلوب الإنشائي في ما يكتبه لإلهاب حماس الشباب وتقريب أفكار الإمام حسن البنا إليهم له موقف من ملوك العرب وبالأخص دول البترول فهو يلهج بالبعيد على التقليل من شأن هؤلاء الحكام الذين توصلوا إلى السلطة بالوراثة أو الأحكام التقليدية العرفية إذ لا يرى الحاكم المسلم حاكماً شرعياً إلا باختيار المسلمين له وفق ما حصل لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما. هذا ولا يفوتني التنويه بضحالة

العلوم الشرعية علم الفقه والحديث لدي الشيخ فتحي وجماعته وكل ما هنالك حب الإسلام على العموم وعدم الدخول في الجزئيات الاجتهادية من أحكام الشريعة أو حتى العقيدة إلا أنهم يهضمون حركة الإخوان وما كتبه الإمام حسن البنا رحمه الله. حاولت في لقاء مع الشيخ فتحى يكن في زيارات متعددة بعد العام ١٣٨٩هـ أن يكون على صلة بعلماء المملكة وبالأخص من هم على مستوى الاجتهاد والفتوى فكانت إجابته لا تخلو من إجابة السياسي المرن نحن هنا في لبنان نحتاج إلى علماء من لبنان يعرفون حقيقة وضعنا وما يعانيه من أزمات ومشاكل اجتماعية وسياسية يعالج هؤلاء العلماء وضعنا السائد ويحلون مشاكلنا وفق ما تقتضيه شريعة الإسلام وقد عرض عليه دعوة لزيارة بعض الهيئات القائمة في المملكة رسمياً فاعتذر بعدم الإجابة ولكنه مع هذا لا يقوم على مبدأ التنكر لكل شيء في دول البترول وحكامها إلا أنه لا يرضى الرضاء التام عن تصرفات بعض أفراد تلك الدول وله ما رأى والله هو المحاسب على كل شيء وصلى الله على محمد.

* * *

١٣ـ الشيخ محمد الهاشم الهدية من السودان

رئيس أنصار السنة المحمدية في السودان

في عام ١٣٨٧هـ توجهت من الرياض إلى الخرطوم متجهاً إلى نيجريا فكان الخرطوم أولى محطات الرحلة وبها التقيت بالشيخ محمد هاشم الهدية الذي شاع ذكره ونفح عطره في بلاد السودان لرفع راية التوحيد ومجابهة البدع والمبتدعين فرأيت الرجل الذي قد اختير ليأخذ بالسفينة الدعوية فلا تصطدم بأمواج المحيطات ولكنه أمن سيرها ووصولها إلى ميناء السلامة بحكمته ورويته ودماثة أخلاقه وذلاقة لسانه لم يكن الشيخ الهدية ممن يشار إليه بالبنان في علم السنة والقرآن ولا من أهل الزعامات السياسية ولا من أرباب الأموال لكنه بالصفة المذكورة كان في مصاف أولئك سمعت أنه كان موظفاً في البريد وظيفة عادية ولكنه اختار لنفسه بعد التقاعد وظيفة العمل الإسلامي والدعوة إلى التوحيد فأسس جماعته على غرار ما قام به الشيخ محمد حامد الفقي في مصر أسماهم أنصار السنة المحمدية وللأضطراب العقدي في مصر والسودان وكثرة الطرق الصوفية والمبتدعين فإن وجود مثل هذه الجماعة وفي نطاق هذا المضمار أعني نصر السنة ومحاربة البدعة كان لهم دورهم الإيجابي في شجب كل ما خالف هدي النبي ﷺ في التوجه العقدي والتعبدي حاشاً السياسة والقيادة والحكم والدولة فإنهم لم يلجوا أبوابها ولم يقرعوا طبولها ولكنهم اعرضوا كلياً عن كل مسميات

السياسة وليس المعنى أنهم يرفضون ذلك ولكن رأوا السواد الأعظم يموتون على غير دين مع تعبدهم لله وحبهم لرسول الله ولكنهم وإن صدق عليهم قوله تعالى: **﴿هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية﴾** يشهدون الشهادتين ويصومون ويصلون ويحجون ولكن المشاهد والمزارات والنذور ودعاء غير الله هو ذلك الدين الأقوم عند عامة الكثير من الناس في مصر والسودان فلذا كانت هذه الجماعة أنصار السنة المحمدية.

تكرر لقائي في خمسة وعشرين عاماً بالشيخ الفاضل محمد هاشم الهدية في زيارات متكررة للسودان ثم لقائي به في مكة والرياض وكان بمنزلة الوالد والمعلم والمستشار الأمين صادق اللهجة محب للناس صحبته في السفر من الخرطوم إلى كسلا وبقينا في هذه المدينة خمسة عشر يوماً ومن أدبه الجم وأخلاقه الفاضلة أنه كان يجلس في درسي جلوس التلميذ المستفيد فقد قال لي مره لقد سمعت منك كلاماً في التوحيد لم اسمعه من قبل فأنتم أهل نجد ممن اختاركم الله لبيان توحيده توحيد العبادة والطاعة وكان إذ ذاك سفير الدولة السعودية الشيخ محمد العبيكان وهو الآخر لا يضع يده في غير يد أنصار السنة وإن أكرم المبتدعين فهو إكرام تأليف، الشيخ محمد العبيكان من السفراء الأفراد كان في صنعاء ثم انتقل إلى السودان وأنشأ كثيراً من المشاريع الإسلامية كالمساجد في فرشها والمدارس الخيرية رحمه الله وغفر له.

أعود إلى منهج أنصار السنة في السودان وهو منهج اختاروه لأنفسهم وقد يفيد في بلادهم ولا يفيد في غيرها كان منهجه الجدل والنقاش في أسماء الله وصفاته ومعيته لخلقه واستوائه أرادوا من هذا إلجام المبتدعين وإظهار جهلم بتوحيد الله عز وجل وكان لهذا الجدل ردود فعل عنيفة عند من لا يعتقد أو يعرف توحيد الأسماء والصفات وأخيراً أدركوا خطورة الجدل وضرره فعادوا ينهجون نهج التعليم والتلقين للناشئة وفتحوا المدارس الخيرية ورسموا منهجاً وفق ما يريدون كان الشيخ الهدية إماماً وخطيباً مقبولاً مهضوماً لدى غالبية الأوساط فهو يطعم خطبه بالنكتة والندرة ونماذج من أخبار السياسة وأحوال السياسين متى سنحت الفرصة قال الحكمة والحكاية يحتاجان إلى رؤوس وفلوس يعني التفكير والمادة وعلى هذا كانت قاعدته الفكر والعمل في إيجاد المنشآت من المدارس والمساجد وهذا آخر عهدي به في تقويم منهجه الدعوي كبر الشيخ الهدية ولعله قد تجاوز التسعين من عمره أحسن الله خاتمته وغفر له ذنبه وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

* * *

١٤ـ الشيخ خليل ماريقا من السنغال

وفي داكار ١٤٠٧هـ التقيت بالشيخ خليل ماريقا الداعية السلفي والتاجر الصادق حمل راية الدعوة السلفية في السنغال رغم تسلط قادة الطرق الصوفية ومنها الطريقة التيجانية وتغطرس شيخها إبراهيم إناس الكولخي نسبة إلى كولخ مدينة في السنغال والذي جرّأ الطاغية إلى أن يقول «من رآني أو رأى من رآني في جنة الفردوس حقاً يراني» تلقى الشيخ خليل ماريقا مبدأ السلفية من عالم موريتاني في نواكشوط فعاد الشيخ خليل إلى السنغال ليبدأ عمله ولكن كيف يبدأ وهو الذي لم يعرف بعلم ولا هو ممن يعتد به في الرأي فكر الشيخ خليل كثيراً ورأى أن ينهج نهج شيخه الموريتاني بإعداد المدارس التي اسماها مدارس الفلاح أو الحركة الفلاحيّة وبدأ الشيخ ماريقا في شراء العقار في عاصمة السنغال داكار ليجعلها منشآت إسلامية ومجمعات تعليمية واتصل بالتجار والأعيان والحكومات الإسلامية والتنظيمات خارج السنغال كرابطة العالم الإسلامي ورئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وطلب زيارة إمام الحرم المكي لمنشآته ومشاريعه في داكار فتهيأ له ما لم يتهيأ لغيره من المساندة والوقوف بجانبه لا سيما وأنه لم يضيف على نفسه لقب السلفية التي قد تكون شيئاً مخيفاً لبعض جهات لا تفهم معنى السلفية فسمى مشاريعه وأعماله بالحركة الفلاحيّة صحبت الشيخ خليل ماريقا قرابة عشرين يوما في

السنغال وقابلني مراراً وتكراراً في الرياض وفي مكة المكرمة فكان كما هو لم يحد عن فكرته ولم يتزعزع عن منهجه الحركي وكأن الأمر عنده مسلم فيه لا يحتاج إلى زيادة ونقصان فهو وإن ناصره الكثير لكنه لا يأخذ غير الماده؟! والتأييد ويقول بلسان حاله مقالة أهل مكة أدرى بشعابها ونحن أعرف بالأسلوب المجدي في بلاد غرب أفريقيا ومنها دولة السنغال.

زرت السنغال وبمعيتي العالم الفاضل الشيخ الدكتور جعفر شيخ إدريس ممثلين لرئاسة البحوث العلمية في مهمة تتعلق برائد تضليل وتبديع في شرق السنغال قدم له دعم سخي ظناً أنه من القادة العلماء فكان على عكس ذلك اتضح دجله وخبثه ومكره وكان مندوب رابطة العالم الإسلامي الشيخ عبدالوهاب دوكري سفيرمالي في المملكة سابقاً هو رفيقنا في تلك المهمة لنستطلع أمر هذا الدجال الذي يتنبأ بالمغيبات ويزعم أنه خرج لإقامة الدين في قبائله شرق السنغال ومن عجيب ما قال لو استأذنني الملك خالد ملك السعودية ليزورني لأذنت له بعد شهر ولكن لأنكم علماء أذنت لكم في الزيارة بعد أسبوع عدنا إلى داكار لنسترجع المعلومات مع الشيخ خليل ماريقا وحركته السلفية فأفهمنا بأن طبيعة الأفريقي ينخدع بالأبهة والمظهر والتنبأ عن المغيبات وتكبر الزعامات باسم الدين وقال لنا إن هذا الدجال عندما يزور داكار يكون في مسيرته الخيول والمسارات الشعبية بأمر من رئيس السنغال (سنقور) ونحن أتباع السلف نعمل بالتواضع والافتقار إلى الله ولكن لابد

من المنشآت والمشاريع ولو بأقل مما تباهي به النصارى هكذا اتخذ ماريقا مبدأ التعليم والخدمات من حفر الآبار وبناء البيوت للفقراء ولإعتاق العبيد إن وجدوا وأخيراً التقى بجمعية التراث الكويتية فتعاونوا معه كدليل ومرشد على الجهات المستحقة في قرى ومدن السنغال للمدارس والمساجد والمستشفيات وحفر الآبار وبيوت الفقراء المحتاجين قال لي أحد الإخوة الكويتين لقد تحول السنغاليون إلى سلفيين بالإحسان والعطف ولكن من يلقنهم السلفية؟ هذا ما يحتاجه شعب السنغال بعد أن أغرقت عليهم أموال المحسنين من المسلمين في دول الخليج أكرر وأقول إن الشيخ خليل ماريقا لا يصف مصاف العلماء ولكنه مصلح ومجدد ومثير للحركة السلفية في السنغال بمقوماته المحدودة والله أعلم.

* * *

١٥ـ الشيخ ناصر الدين الألباني الأوشكودري

وفي عمان عاصمة الأردن التقيت بالشيخ ناصر عام ١٤٠٧هـ وليس هذا أول لقاء بالشيخ بل كان ذلك عام ١٣٨٠هـ في سوريا بدمشق وبالتحديد في المكتبة الظاهرية. تابعت مجالسه في دمشق وحماة وحلب وكان إذ ذاك في بداية حركته وظهور نجمه في التأليف والرد والتحقيق وقد أنشؤوا جمعية أسموها جمعية الصراط المستقيم مقرها الرئيسي في حلب ورئيسها الفعلي الشيخ محمد نسيب الرفاعي وكان من ثمرة هذه الجمعية أن أوفدوا إلى المملكة ما يزيد على أربعين طالباً للدراسة في المعاهد العلمية تزاملنا مع الكثير منهم في معهد الرياض العلمي عام ١٣٧٥هـ وذلك بموافقة الملك سعود رحمة الله بقيت جمعية الصراط المستقيم وبتوجيه من شيخها الشيخ ناصر الدين ورئيسها الشيخ محمد نسيب الرفاعي تعمل عملها في بيان منهج السلف والرد على المناوئ وبالأخص في باب الأسماء والصفات وفي الأمور التعبدية في بيان حد الابتداع في دين الله عز وجل وكانوا إذ ذاك أيام الوحدة بين مصر وسوريا أعطيت لهم الحرية في الكلمة المسموعة والمقرية وقد ضمّني مجلس لعلماء حمص أرباب العمائم والطرابيش التركية فنالوا في مجالسهم من الشيخ ناصر وأنه وهابي أشد من الوهابية حينما سألوني كم تصلون صلاة التراويح فقلت عشرين والوتر ودارت عجلة الزمن واستفحل أمر السلفية في سوريا

حتى كاد شباب اليقظة ولو من الحزبيين أن ينضووا تحت لواء السلفية غير أنه حصل خلاف بين الشيخ ناصر وبين الشيخ نسيب فانتهى أمر الوفاق بينهم وأعقب ذلك إلغاء الجمعية واتهام عبدالناصر لهم بالعمالة السعودية وتفرق الشباب وبقي البحث والتحقيق والتأليف ديدن النابهين منهم كالشيخ عبدالقادر الأرنوؤط والشيخ شعيب الأرنوؤط وغيرهما ممن تتملذ على الشيخ ناصر وأخذ طريقه في التأليف والتحقيق وناصرهم على ذلك صاحب المكتب الإسلامي الشيخ زهير الذي يملك مطبعة للنشر.

كانت زيارتي للأردن خاطفة وعاجلة ولكن لمكانة الشيخ ناصر العلمية فلزاماً علي زيارته رغم أنه قد برمج وقته وحدد مواعيد زيارته التقيت به مع الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين المشرف على دعاة رئاسة البحوث العلمية في الأردن والشام وتحدثنا كثيراً عن الجوانب الدعوية وما يجب أو ينبغي في استعمال الحكمة وبالأخص بين الزملاء والإخوان وأثرنا نقطة الخلاف بينه وبين الشيخ نسيب هل أزواج النبي ﷺ معصومات من الزنا أو غير معصومات ولكنه لا يقع، لهذه المسألة انشق الصف وتفاقم النزاع بين الشيخ ناصر والشيخ نسيب وقد أصر الشيخ ناصر على هجر الطرف المخالف وعدم الرضا عنه حتى يتوب إلى الله ويرجع عن هواه ويعترف بما أراه أن أزواج النبي ﷺ معصومات من الزنا أوردت هذا الخلاف لأستشهد به على شؤم النزاع وبالأخص بين علماء الدعوة وقادة الأمة وقد أشرت إلى الشيخ ناصر بسيرة الإمام

في هذا الزمان الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز وأسلوب دعوته مع المخالف فقال ذلك له شأن آخر وأمثاله قليل وأنتم شعب المملكة تحترمون العلماء وتأخذون بأرائهم وقل من يخالف ولكننا في هذه البلاد ابتلينا بمن لا يعي وإن وعى فلا يفهم وإن فهم فلا ينقاد ليست هذه ألفاظ الشيخ ناصر ولكنها من مفهوم كلامه عفا الله عنه ذكرته بلقائي به في حلب عام ١٣٨٠هـ وما جرى بينه وبين من ينكر الاستواء وقولك له أما أن تعترف بأن الله في جهة أو لا تعترف فإن اعترفت فالجهة هي جهة العلو وإن لم تعترف فأنت تعبد عدماً فتذكر الشيخ وقال بهذا الجدل والمنطق نضرب أدمغه أهل التأويل والتعطيل فليس لنا قوة السلطان ولكنه المنطق والجدل المبني على الدليل والعقل السليم بقي الشيخ ناصر وهو يتزعم الحركات السلفية كمرجع للفتيا والرأي ندعو الله له حسن الختام وصلاح الأعمال وغفر الله لنا وله.

* * *

١٦ـ الشيخ جبريل سيسي

وفي غرب أفريقيا دولة سيراليون وعاصمتها (افريتاون) بمعنى غابة الأسد نلتقي بالشيخ سيسي رجل العلم والسياسة وصاحب الحنكة والكياسة كان سفيراً لدولته في القاهرة وهو أزهري من الطراز القديم يجيد اللغة العربية بلهجتها الفصحىٰ والعامية في عام ١٤٠٩هـ كنا في مهمة رسمية لدول غرب أفريقيا الناطقة باللغة الإنجليزية ومنها دولة سيراليون يضم هذا الوفد معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي والشيخ عبدالعزيز الربيعان إمام وخطيب جامع قباء بالمدينة كان الغرض في المهمة دعم المشاريع الإسلامية والنظر في أحوال المسلمين عامة التقي الوفد بالشيخ جبريل سيسي واتفق معه على خطه توزيع المبالغ واختيار الشباب للمنح الدراسية والتعرف على الشخصيات الإسلامية في سيراليون فوجدنا الرجل الماهر الذي يجمع بين طبقات الشعب السيراليوني فهو سياسي مع الساسة وعالم مع العلماء وشيخ قبيلة في مصاف القبائل حتى يكاد الناس في سيراليون يجمعون على أنه الشخصية المعتدلة رغم النزعات القبلية والفوارق بين أصحاب الطرق الصوفية والاختلافات السياسية فكان رمزاً لوحدة الجميع على الخط السوي من دين الإسلام إلا أنه بهذا الضعف أو ما نسميه التواضع واندماج الشخصية لم يبرز الشيخ جبريل بروز الأعلام المصلحين المجددين إذ كان يتحاشى الاصطدام مع أي تيار يرى

فيه الخطر أو تشويه السمعة أو التقليل من شخصيته ولهذا بقي محبوباً لدى الأطراف المتباينة ولعله اتخذ مسلكه هذا درءاً للفساد الذي احتدم صراعه بين الفئات الإسلامية فكان لديه شبه اليأس عن الوحدة التامة لصفوف المسلمين وهو بلسان حاله ومقاله يقول بالمثل (أي كذا خلقت) بمعنى أن المسلمين لم يزالوا على خلاف وفي خلاف فما علينا إلا تضيق صولته الخلاف في أصول الدين وعقائده وله ما اختار ولمشربه وجه حسن في ضحى يوم أو عصره تأخر علينا زميلنا الشيخ محمد ناصر العبودي في غيبة عاد منها وهو يضحك ويقول جئتكم من سدرة المنتهى بمعية جبريل فعجبنا لهذا الكلام وقلنا افصح فقال أما جبريل فهو صاحبكم وأما سدرة المنتهى فهي ابنته قال لي كما قلت لكم أنا جبريل سأذهب بك إلى سدرة المنتهى فأخذنا لزيارة بيت بنته المسماة بسدرة المنتهى وهي زوجة أحد القادة السياسيين في سيراليون أسس الشيخ جبريل مدرسته العلمية أسماها بالمدرسة البازية نسبة إلى الشيخ عبدالعزيز بن باز وقال بكل صراحة أنا أجل الشيخ بن باز واتخذ من حياته وسيرته سلوكاً عملياً في الدعوة ولهذا أرجو أن يخرج أبناء هذه المدرسة في تربيتهم الدعوية متمثلين بسيرة هذا الإمام الشيخ ابن باز شاهدنا في (افريتون) صفر المساجد مع طول مناراتها قال الشيخ جبريل إن قبائلنا يتنافسون في تشييد المساجد وبالأخص أي آل فلان منارة مسجده أطول كما لاحظنا تقاربها فقال وهكذا كل يعتز بمسجده

ومنارته اعتزاز الابن بأصوله وأجداده لم يكن الشيخ جبريل سيسي من الحركيين ولا ممن يطمع في خوض السياسة ودمجها بالإسلام أو الإسلام بها ولكن رضي لنفسه أن يكون بمنزلة المفتي أو المعلم الأكبر للقادة والعامة فكان له بعض ما أراد بل كانت زوجته هي الأخرى رائدة في الدعوة فقد أشادت لها مسجداً بجوار بيتها تؤم النساء بالصلاة فيه في الأوقات جميعها حتى صلاة الفجر ومسجدها مزدحم بالمصليات والدارسات وبتشجيع من زوجها كانت رائدة بين صفوف النساء. عدنا من سيراليون ونحن نحمل في حقائبنا ومذكراتنا المعلومات الكثيرة كتب عنها زميلنا الشيخ العبودي ضمن كتاباته في دول غرب أفريقيا ودّعنا الشيخ جبريل وبلاده غابة الأسد وفيما بعد جاءت الأخبار بقدومه إلى ربه عليه رحمة الله.

* * *

١٧ ـ الشيخ آدم محمد أفيدو

وفي غرب أفريقيا دولة غانا وعاصمتها أكرا توجهت منها إلى مدينة كوماسي لألتقي بالأخ الكريم الشيخ آدم أحد أعلام غانا والبارزين في التجارة والقبلية والتصاقه بالسياسين وفي معهده أو جامعته في مدينة كوماسي عجبت من القدرة البشرية والإمكانات الفردية فقد استطاع أن يحتوي على ربوة من ربىٰ كوماسي وهبها له رئيس غانا الأسبق الهالك «نكروما» واعجب من ذلك أن الرئيس النصراني هو الذي أعطى هذا المسلم وليس لسكنه ولا تجارته ولكن لمشروعه الإسلامي الخير معهد كوماسي الإسلامي فإن دل على شيء فإنها دلالة واضحة على لطف آدم وقدرته الماهرة على الالتصاق برئيس الجمهورية وأخذ الأمان منه بل ودعمه ومساعدته ومن هو نكروما هو ذلك الرجل الذي لمع نجمه في غرب أفريقيا سياسياً ووضع كفه بكف جمال عبدالناصر تحت شعارات تضطرب اضطراب المتردد في مبدئه والذي لم يحدد وجهته بين القوميات والوطنيات والمبادئ والاتجاهات المستوردة كان الهدف من زيارة غانا هو دعم المشارع الإسلامية بمبالغ نحملها نقدية وعينية فكان لعهد كوماسي النصيب الأوفر إذ هو أبرز المؤسسات الإسلامية والمدارس التعليمية فقد حدثنا أخونا الفاضل من غانا وما تعانيه من ألم التشتت والتفرق والفقر والحاجة حتى لم يبق مبدأ من مبادئ الكفر إلا ويطمع في غانا ويفتح بها

مؤسسته وأشرهم أولئك القاديانيون الذين كادت أنشطتهم تكتسح جميع الأنشطة الإسلامية الأخرى بتعداد مساجدهم ومدارسهم بل رجالات السياسة من أهل غانا انخدعوا بالقاديانية الأحمدين المرزاءين فكانو هم سواء.

الشيخ آدم ليس له توجه فكري ولا عقائدي غير ما عليه سلف الأمة وعلماؤها وقد ضرب صفحاً عن البدع الصوفية ولم يول جانب التعبد اهتمامه أعني التعبد التطوعي إذ كان همه الأول أن يتجه الناس للعلم الشرعي الديني فهو يقول حاجتنا للعالم المصلح ليكون هو القاضي والخطيب ورجل السياسية والحكومة وهذه هي العبادة المتعدية النافعة وعلى هذا أسس معهده وأقام صرح بنيانه وهذه فكرته وذاك منهجه. الشيخ آدم تاجر مع التجار وسياسي مع الساسة وعالم مع العلماء وفي شخصيته المتواضعة ووزنه الخفيف وأناقته في مظهره ما يعطيك ثقل الرجل في عقله وتبريره بلطفه وحسن تعبيره فهو ينطق أحياناً ياسيدي يامولاي بهذا الأسلوب اتخذ الشيخ آدم أسلوب الإقناع والإلتماس والطلب والتفاوض الهاديء المثمر المفيد ظل يكاتبني وأنا في الرياض وفي كل مناسبة يرسل أولاده إلي في الرياض يقولون جئنا نقبلك نيابة عن والدنا فقد أمرنا بذلك لم أعرف فيما عرفت من الأفريقيين أقدر من هذا الرجل على الإستفادة ممن يقابله ويلقاه حتي لا تكاد تحكم عليه أهو معك أو عليك ولكن مع القناعة لوجاهة ما يقول والتفاعل معه في تفكيره وتوجهاته كتبت عن هذا الشخص لإظهار

الكوامن الذاتية في الرجل ومدى الاستفادة منها في خدمة الدين والمبدأ وهذا رجل أنموذج من أولئك الرجال الذين أثبت التاريخ عبقريتهم وممن يشار إليهم في خدمة الإسلام في بلدانهم وبني جنسهم فحكم الله في خلقه وتدبيره في ما هو أعجب من ذلك.
والله ولي التوفيق ويرحم الله أخانا آدم الغاني الكوماسي.

* * *

١٨ ـ شريف حطاب

رائد التضامن الإسلامي في دولة جامبيا من دول غرب أفريقيا المستعمرة للإنجليز سابقاً وهي أشبه بشريط على إمتداد حدود السنغال من الشرق دولة صغيرة أراد الإنجليز أن تكون بجانب السنغال الفرنسي للتنافس الاستعماري من دول أوروبا النصرانية لدول أفريقيا المسلمة فلعل تلك الإفرازات من الضغوط الاستعماري والتنافس الأوروبي على أرض أفريقية إسلامية تفرز تلك الشخصيات التي لمع نجمها وتألق ضوؤها بما تنادي به من دعوة وتوجيه وإرشاد إلى العودة إلى دين الله عز وجل. كان من أولئك رئيس الدولة الذي تحول من نصرانيته القديمة إلى دينه الجديد دين الإسلام وغيره كثير. أما صاحبنا الشيخ شريف حطاب الذي نادى بالتضامن الإسلامي في غرب دول أفريقيا ولعله تضامن بين الجمعيات والمنظمات والمدارس الإسلامية. هذا ما عناه الشيخ شريف لا تضامن الدول والذي نادى به الملك فيصل رحمه الله ولكن من مفهوم التضامن يعني الالتقاء والنظام حتى لا يكون هنالك فجوات يدخل منها من يسيء للعالم الإسلامي التقينا بالشيخ شريف حطاب في دولته جامبيا عام ١٤٠٩ وكان لقائي به مسبقاً في الرياض وفي مكة المكرمة حيث تم إجراء العقد معه على أن يكون ضمن دعاة رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد فقد جرت تزكيته والتعريف به من الندوة العالمية

للشباب الإسلامي إذ هو أحد أعضائها والمنتمين لها والممثل لها في جامبيا. درس اللغة العربية في موريتانيا وهي لغة أمه وأبيه إلا أنه استفاد من علماء شنقيط فكان لغوياً نحوياً ماهراً في النطق والتعبير حتى تعجبت منه في أداء مخارج الحروف لقوة بيانه وساطع تبيانه اخترمت المنون الشيخ شريف وهو في العقد الخامس من سني عمره ولم يحقق الكثير من طموحاته وأهدافه فقد كان يطمع سياسياً واجتماعياً أن يكون في جامبيا رجل الدعوة والدولة وله ما نوى أرجو الله له المغفرة وحسن الجزاء.

وبما أننا لا نهتم بالشخص كاهتمامنا بالفكرة والمبدأ والمنهج الدعوي لذا كان الحديث عن الشيخ شريف حطاب كأنموذج من نماذج العمل الإسلامي في غرب أفريقيا ومحور دعوته تقوم على تضامن المدارس الإسلامية العربية لغرب أفريقيا وهي دعوة وافقت القبول عند الكثير من الناس ولهذا بادرت مدارس الرياض والتي يشرف عليها سمو الأمير محمد الفيصل بإدارة الدكتور توفيق الشاوي بعقد الدورات للمعلمين في جامبيا كما قامت الجامعة الإسلامية بالمدينة بنظير ذلك وذلك كله بتحريك الشيخ شريف حطاب فهو شخصية ماهرة مقنعة مؤثرة في اقتطاب الأنظار إليه ولفت النظر فيما يقدمه ويعرضه ساعد على ذلك ديمقراطية البلد وحرية الكلمة والأغلبية السكانية من المسلمين لذا قام شريف بكل قواه وإمكانياته حتى فتح الكثير من المدارس التي أسماها مدارس التضامن الإسلامي في غرب أفريقيا وهو بجانب هذا

يتعامل مع السياسيين تعاون وئام وزمالة في المنهج السياسي الإسلامي فهو صاحب فكرة ومبدأ أكثر منه صاحب عقيدة وتشريع لعله استفاد ذلك من التصاقه التام بندوة الشباب العالمي الإسلامي وكان لبنة في ذلك البناء وهو مع هذا مأمون الطوية سليم النية آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر في حدود مقدرته وإمكانياته نرجو الله له المغفرة وحسن الجزاء وهو ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا وآله وصحبه وسلم.

* * *

١٩ـ محمد إبراهيم المالديفي

وفي جزر مالديف الواقعة جنوب الهند والتي تقدر بالفي جزيرة المسكون منها قرابة المائتين وعاصمتها مالي بفتح اللام التقي بوزير العدل الشيخ محمد إبراهيم الأزهري من العلماء والبارزين في الحكومة وهو حميم وصديق الرئيس مأمون عبدالقيوم كانت زيارتي الأولى لمالديف عام ١٣٩٥هـ أما الثانية فكانت ١٤٠٧هـ ورأيت البون الشاسع والاختلاف الكبير بين الزيارتين فقد كان الرئيس الأسبق المدعو ناصر قد أغلق على نفسه وألجم الخطباء والعلماء حتى كادت جزر المالديف أن تنسى الكثير من تعاليم دينها وهم مسلمون مائة في المائة ولكن الرئيس مأمون الذي فتح البلاد وسعى في تطويرها حتى كان هو أحد أعضاء رابطة العالم الإسلامي لم يكن هذا من جهد مأمون فقط ولكن وزير عدله وحميمه وزميله في الدراسة الشيخ محمد إبراهيم له الباع الأطول في انضواء مالديف تحت راية مؤتمر العالم الإسلامي وارتباط الرئيس برابطة العالم الإسلامي ومحمد إبراهيم مالديف برئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء وظلت الصلة أو الترابط الديني بين المملكة وجزر المالديف قوية ثابتة متطورة ورغم أن وزير العدل ثقافته مصرية بحكم الدراسة والتخرج إلا أنه يطيعه وبفطرته وعقيدته يجنح إلى المملكة ولاسيما أنه قد انتسب إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وانضم إليها كموظف إداري في

شئون الطلاب فكان خير مثال للطلبة المغتربين في الرياض المالديفيين وغيرهم فقد تكون لديه خبرة ومعلومات عن العالم الإسلامي لصلته بجامعة الإمام محمد بن سعود وبرئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وفي طبع الرجل ما يعينه على الاستيعاب والفهم والإدراك فكان أهلاً لأن يكون رجل عدل ووزير دولة.

جالست الأخ محمد إبراهيم في بيته ومكتبه وجرى الحديث مطولا في مستقبل الدعوة والدعاة في مالديف فكان الرجل على حذر مما هو يستجد في بلده وقال بكل وضوح نحن هنا على مسلك الإمام الشافعي ورغم قربنا من الهند ومدارسه الكبيرة فإننا نحاول أن تبقى جزرنا على هويتها المذهبية وبقائها كما كانت أما التوجه العقدي فقال نحن بحمد الله ليس في بلادنا مقابر تقدس ولا أوثان تعبد ومن جهة التعبد السلوكي أو ما يسمى بالتصوف الإسلامي فلا صوفية ولا طرق فنحن على ما عليه السلف في كل شيء إن شاء الله. فأجبته بالموافقة على ما ذكر وبقي لنا موضوع آخر وهو ما قد يخدش سياستكم الداخلية والخارجية وهي عَلْمنة الحكم أو التسامح للأجنبي الكافر بغشيان البلد والتأثير عليها فقال ما معناه نحن فقراء والفقراء تبع الأغنياء ونحن نوازن بين المصلحة في المحافظة على قيمنا والاستفادة ممن هو أقوى منا مادياً أو اقتصادياً وقال لي سمعت بكثرة السياح من الأوربيين ممن يعشقون الهدوء والرمال الفضية في جزرنا وهؤلاء لا يأتون

العاصمة ولا يختلطون بالمواطن وإنما يبقون في الجزر المتناثرة البعيدة وذلك يفيدنا اقتصادياً ففي كل يوم تصل عشرات الطائرات وقد قامت شركات أجنبية بتهيئة الجو لهم في تلك الجزر وهي آمنة مستقرة هادئة وادعة وبلا شك أنهم يمارسون بكل حرية أخلاقياتهم السافلة وليس معنى هذا أننا أصبحنا أنصاراً للمبادئ العلمانية اللادينية ولكن أردنا من ذلك تكوين دولتنا بالدعم الاقتصادي ولا شأن لنا بما يتعلق بسلوك أولئك الكفار أقمت في مالديف في زيارة أخيره عشرة أيام والتقيت بالرئيس مأمون لقاء مجاملة وتعارف وتم إنهاء المهمة خلالها وودعنا الشيخ إبراهيم توديعاً لم أره بعد وفق الله الجميع لكل خير.

* * *

٢٠ ـ صالح اوزجان من تركيا

وفي أنقرا عاصمة الجمهورية التركية يتمركز الشيخ صالح أوزجان رئيس جمعية الصداقة السعودية التركية وأحد منسوبي رابطة العالم الإسلامي رجل الحركة والفكر والدعوة عرفته بصبره وجلده واهتمامه بشئون العالم الإسلامي وبالأخص تركيا ووضع الإسلام فيها التقيت كثيراً بالشيخ صالح في الرياض وفي مكة وكان لنا معه شرف التعامل في مراجعته لرئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد حين كنت أشغل وظيفة المدير المساعد للدعوة في الخارج والشيخ صالح عربي تركي سليم الاتجاه وإن لم يصنف ضمن العلماء ولكن بحق هو رجل الحركة والفكر وقام بجهود مباركة في التعليم ونشر الكتب باللغة التركية وأخيراً التقى بالأمير محمد الفيصل وقاما بفتح فرع لبنك الملك فيصل الإسلامي بتركيا وقد كانت سياسة الأخ صالح سياسة الاندماج في كل نشاط إسلامي يخدم الإسلام فهو مع الاقتصاديين الإسلاميين وهو مع العلماء الدعويين وهو مع رجالات السياسة في حدود الاستفادة منهم وعدم الدخول معهم في الضرر المناوئ فهو يأخذ بالمثل «خذ ما صفى ودع ما كدر» أظنه من العرب المتاخمين لدولة سوريا (الاسكندرون).

جالست الشيخ صالح وتداولت معه الحديث في كل شئون الحياة ورأيت رجلاً كاملاً ماهراً يعطي ويأخذ ويفرح ويغضب في

حدود الأدب والمعروف وقد تختفي شخصيته باختفاء غاياته وأهدافه حتى لتشعر أحياناً أن الرجل ذو هدف قريب ومغزىً يعرف إلا أنه في الحقيقة كما هي في طبيعة الشخصيات المتناقضة بين الحب والبغض والجد والهزل والرغبة والرهبة تعطي وزناً دقيقاً لاستعمال تلك المتناقضات في شخصية واحدة والنتيجة هي حصول الهدف والغاية من تقلب الأحوال وصورها يحدثك أنه من حزب السلامة وأنه يركن إلى قيام الدولة الإسلامية ولكنه ليس بالمنتظم ولا بالملتزم بصفات الرجل الحزبي أو التحمس لجماعةالحزب ولهذا عندما تقع كارثة يكون قد أخذ الحذر من القدر وكما أشرت ليس بالعالم المتفوق في تحصيله ولكن يمكن تمييز شخصيته أنه رجل العمل والإنتاج في كل ما يخدم شخصيته القيادية التي تعطي له سمعه بين أوساط المسلمين في تركيا وهذا نمط من أنماط الدعوة والإصلاح في انتهاز الفرص وتتبع نقاط الضعف في احتياجات المسلمين وتقوية ذلك الجانب المتهاوي في التعليم أو السياسة أو الاقتصاد أو العلاقات الشخصية وما إلى ذلك مما يكون في قدرة الداعي واستعداده حسب مواهبه وما اعطاه الله من ملكة بهذا تعرف أن الشيخ صالح أوزجان هو من أبرز الدعاة في تركيا شهرة عند العرب خارج تركيا وفيما أظن أن الرجل لا يزال في تقدم مضطرد فقد ودعته في أنقره عام ١٤٠٤هـ ولم أره بعدها فقد قام بالحفاوه والتكريم وحسن الضيافة وتقديم الهدايا والتحف لمحبه وصديقه القديم فجزاه الله خيراً ولا زالت في نفسي

الانطباعات والتأثرات من ذلك الرجل وإرادته القوية وحركته المتواصلة كما قد كنت أناصحه من ذي القدم في إطلاق لحيته فأطلقها بعد حين وقال لي فيما بعد الآن حان إطلاق اللحية وإحياء السنة في الوقت المناسب بعد أن أبيض شعره وعرفت شخصيته وهويته والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والخلاصة أن الرجل من الأقليات النادرة في المجتمع التركي العلماني ونسأل الله أن يكثر من أمثاله ويعزه بالإسلام ويعز الإسلام به وصلى الله على محمد .

* * *

٢١ ـ السيد/ هاشم الرفاعي رجل الدولة والدعوة من الكويت

وفي عام ١٤٠٢هـ كنت في الكويت وهي البلد التي تكررت زيارتي لها منذ عام ١٣٧٩هـ غير أنه لم يكن اتصال بأحد بل الأصح أنه لم يبرز دعاة وعلماء في الكويت إلا في السنوات الأخيرة حيث كانت جمعية الإصلاح وهكذا بدأت الاصطدامات مع المبادئ والاتجاهات بشكل علني في الكويت وبالأخص مع العلمانيين والقوميين العرب والبعث الاشتراكي بنوعيه العراقي والسوري وعلى هذا برزت شخصيات تدافع عن الإسلام وقيمه وتعاليمه ومن أولئك السيد/ الرفاعي حيث كان له من المركز ما يخوله أن يقول فيسمع قوله فقد كان وزير دولة وزعيم طريقة صوفية وينتسب إلى البيت الشريف وذا ثروة وقد وهبه الله ذلاقة اللسان وحسن الأخلاق والأدب الجم حتى مع خصومه ومن ليس على منهجه فقد برز في محاربة الاختلاط بين الجنسين في التعليم وكان له دوره الإيجابي في الحد من تفسخ المرأة الكويتية وانحلالها اجتمعنا في بيته وهو قصر مشرف غير أنه اختار لمجلسه غرفة ضيقة خافتة الضوء فتوهمت أنها زاوية من زوايا الذكر التي يتخذها أرباب التصوف وكنا ثلاثة فعجب لنا السيد هاشم فقال عجبت من هذا الاجتماع الذي ضم وهابية نجد وسلفي الباكستان ومن أنصار السنة في مصر عند رجل صوفي ينتسب إلى أهل البيت فأما وهابية نجد فيعني به كاتب الأسطر أما

سلفي الباكستان فيعني بها أمير جماعة غرباء أهل الحديث الشيخ عبدالغفار بن عبدالوهاب الدهلوي والثالث من مصر من أنصار السنة المحمدية وكلاهما جاءا لطلب الدعم والمساعدة على مشاريعهما في بلدانهما أما الوهابي النجدي فقد زار السيد هاشم وقد نالوا جميعاً ما أملوه وطلبوه فكان في نفسي أن هذا الرجل رجل قيادة ودعوة لولا مسلكه التصوفي المبتدع هدأت الأحوال والتصادم بين أصحاب المبادئ في الكويت فاتجه الشيخ هاشم إلى دول آسيا ليعلن طريقته ويتفقد مريديه في الهند وباكستان وفي سيلان وأندونيسيا وقد اجتمعت به في الباكستان في مؤتمر السيرة النبوية وألقى كلمته في المؤتمر وكان يحف به جمع من أرباب التصوف والابتداع وتبادروا إلى تقبيل يده وتمجيده وكأن الأمر أعد له ليتفوق الشيخ هاشم عن بقية المشاركين في المؤتمر وكان له منافس آخر في النسب الشريف ممن دعي لمؤتمر السنة وهو السيد العطاس ممثل رابطة العالم الإسلامي ولكنه ليس بذلك المدعى ولا بذاك المتزعم فلذا خلا الجو للسيد الرفاعي وأخذ منصة الشرف في المؤتمر لم يقتصر السيد هاشم على إعلان دعوته بالطريقة الرفاعية ولكنه يلمح إلى الدعوات الأخرى والمناهج المتباينة إلا أن صوفية الهند تختلف كل الاختلاف عن الطريقة الرفاعية ففي الهند الأربع طرق التي يبايع عليها علماء (ديوبند) القادرية والنقشبندية والجشتية والختمية وليس للطريقة الرفاعية ما يستوجب الذكر فضلاً عن التبعية غير السيد هاشم

صاحب الثروة والأيادي المعطاه في مساعدة المدارس والهيئات الإسلامية جعلت له في القلب منزلة واحتراما واكتفوا بحشد الطلاب والجماهير في إستقباله وتوديعه بل ربما أوجدوا الطبول والأعلام والأناشيد في مديح النبي ﷺ، السيد هاشم الرفاعي اعتزل السياسة بعد أن كان وزير دولة وطفىٰ في الكويت دعوتان تحملان مبادئ وغايات الأولى وهي الأسبق جمعية الإصلاح إخوانية سياسية حركية والأخرى جمعية التراث سلفية تدعو إلى التوحيد وإلى العودة إلى ما عليه السلف الصالح وبجانبهما يتضاءل نشاط الرفاعي ولعله إلى الأولى أقرب مع اختلاف في المشارب والغايات والله ولي التوفيق وصلى الله على نبينا محمد ﷺ.

* * *

الخاتمة

اعتذار وانكسار لجابر الكسر وعالم السر، رب الأرض والسماء، خالق ما تقلص ونما، فلقد رمت الكتابة فيمن سمعت خطابه وأعجبني جوابه، في حدود المعرفة من غير تعنت ولا تكلف، ولست فيما أكتب بالمعجب بقلم سيال ولا بفكر وخيال، ولكن كما قيل:

وللناس فيما يعشقون مذاهب، فقد ألمت بي ساعات أرى أنها من أفضل الأوقات حين حبرت هذه الكلمات باسمات ضاحكات، تعطي صوراً عن الماضي القريب بذكر أولئك الأعلام مشايخ الإسلام، فأسأل الله القبول والمغفرة وإليه التجئ واستغفره من زلة قلم أو إنزلاق قدم وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

أمر بكتابته ممليه الفقير إلى باريه
إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن حَمد
المنتمي إلـــى جـــده عتيـــق
في السابع عشر من الشهر السابع من عام ١٤١٧هـ
في مدينة الرياض ـ بحي الشفا

الفهـرس

الموضوع	ص

* * *

أُصدر الكترونياً في تاريخ
٣ / ٢ / ١٤٣٢هـ
محمد عبداللطيف محمد